

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم فلسفة عامة



مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

سولاف صياد

يوم: [Click here to enter a date.](#)

الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2025/2024

شكر و عرفان

قال الله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم"

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

فالشكر لله عز و جل أولا الذي أنار لي الدرب و فتح لي أبواب العلم و أمدني بالصبر و الإرادة لإتمام هذه الرسالة، فله الحمد و الشكر حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله. إن الوفاء يقتضي أن يرد الفضل لأهله، لذلك أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى من كان له الفضل بعد الله في إخراج هذا البحث العلمي، الأستاذ الدكتور "لزهر عقيبى" لتفضله للإشراف على هذه الرسالة، و الذي وجدت فيه فاضلا معطاء قدم التوجيه السليم و الرأي السديد، الذي ساعدني في تخطي الكثير من الصعاب فجزاه الله خير الجزاء و أمدّه الله بدوام الصحة و العافية، و بارك الله له في وقته و عمله، مع التمني له دوام التفوق و النجاح إلى أعلى المراتب في مشواره العلمي.

كما أتقدم بجزيل الشكر و العطاء إلى كل يد رافقتنا في هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد و أخص بالذكر الأستاذ "حمزة ناصر" فله جزيل الشكر على الدعم الذي قدمه لي خلال بحثي و على إرشاداته القيمة و النصائح المفيدة التي ساهمت في إنجاز بحثي بنجاح متمنية له دوام الصحة و العافية و التفوق و النجاح في أطروحاته لنيل شهادة دكتوراه و فقه الله أستاذنا الفاضل وجعلك في أعلى المراتب إن شاء الله. و الشكر موصول إلى كل الزملاء و الأساتذة الذي تتلمذنا غلى أيديهم و أخذنا منهم الكثير.



إلى من لا يضاهيهما أحد في الكون، إلى من أمرنا الله عز و جل ببرهما، إلى هديتي من الله و النعمة الكبيرة التي أعيشها " أمي و أبي " الذين يؤمنون بي حين يخذلني الجميع فأشكرهم على ثقتهم دوما بقدراتي أقول لهما الشكر لا يكفي على ماقدمتماه لي، لكنني سأظل بارة محبة لكما طوال حياتي، أهديكما ثمرة جهدي المتمثلة في هذا البحث المتواضع، عسى أن أكون مصدر فخر لكما و حق بحوث الدنيا أن تكون عنكما فقط راجية من المولى عز و جل أن يطيل في عمرهما و يلبسهما لباس الصحة و العافية. إلى من جمعنا معهم بيتا واحد و كانوا خير سند، إخوتي الأعزاء كل باسمه أدامكم الله ضلعا ثابتا لي.

إلى الأصدقاء الأوفياء الذين ما انفكوا يوما عن تقديم يد العون و المساعدة و الدعم لي في أحلك الظروف أقدم هذا الإهداء تعبيرا عن إمتناني لوجودهم في حياتي. إلى الأقارب الذين يفرحهم نجاحنا و يحزنهم فشلنا قلبا و دما و وفاءا. إلى نفسي التي راهنت على النجاح اصبري و صابري فلا يزال الطريق طويلا.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	صفحة الواجهة
	صفحة فارغة
أ-	مقدمة
	الفصل الأول: مدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي و البلاغة الجديدة
09	تمهيد
11	المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للبلاغة الجديدة
11	1- مفهوم البلاغة الجديدة
12	2- نشأة البلاغة الجديدة
15	3- مبادئ البلاغة الجديدة
20	المبحث الثاني: مدخل مفاهيمي للحجاج الفلسفي
20	1- مفهوم الحجاج الفلسفي
34	2- مفاهيم قريبة من الحجاج الفلسفي
36	3- تاريخ تطور الحجاج الفلسفي
	الفصل الثاني: من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة
48	المبحث الأول: البلاغة الكلاسيكية
48	1- مفهوم البلاغة الكلاسيكية
48	2- نشأة البلاغة الكلاسيكية
50	3- أسس البلاغة الكلاسيكية
52	المبحث الثاني: انبعاث البلاغة الجديدة
52	1- نقد بيرلمان للبلاغة الكلاسيكية
54	2- أسباب التحول من البلاغة الكلاسيكية إلى الجديدة

55	3- اتجاهات البلاغة الجديدة
	الفصل الثالث: طبيعة الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة
64	المبحث الأول: نظرية الحجاج عند بيرلمان كمشروع إبستمولوجي و تأويلي
65	1 مشروع بيرلمان
66	2 التآويل في الحجاج عند بيرلمان
67	3 التآويل في الحجاج عند بيرلمان
69	المبحث الثاني: الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة
69	1 مسلمات و مقومات الحجاج الفلسفي
71	2 تقنيات الحجاج الفلسفي
74	3 أثر نظرية الحجاج عند بيرلمان على الخطاب الفلسفي المعاصر
76	خاتمة
81	قائمة المصادر و المراجع
	الملخص

مقدمة

يتواصل الناس في حياتهم الاجتماعية بأشكال مختلفة من الطرق كالمحادثة و الحوار و النقاش و الكتابة، و أن تتكلم معناه أن نتخاطب، و أن نتخاطب معناه أن نتحاجج سواء كان ذلك في إطار الحياة العامة أو الخاصة فالمحادثة مهمة و ضرورية. و نحن في غالب الأحيان نتحدث و نناقش في مختلف الموضوعات و القضايا، و يتعلق الأمر في الغالب بالحجاج، أي الدفاع عن و جهة نظر مقابل وجهات نظر أخرى. و كل خطاب يحمل دعوى يقابلها اعتراض، حيث للمعلوم هناك قسدين قصد الإدعاء و قصد الاعتراض فالمخاطب مدعي عليه إقامة الدليل، و المخاطب معترض يطالب المدعي بتقديم الدليل على قوله. إن الحجاج موجود في جميع الخطابات التي يتواصل بها الناس بكل أنواعها سواء كانت سياسية أو في التجارة... و في مختلف أشكال التواصل اليومية فالكل يستخدم الحجاج و يمارس فن الإقناع و بما أن الحجاج مرتبط بالخطاب و الإقناع فهو لا شك شديد الصلة بالبلاغة من حيث هي فن العبارة و البلاغة تعني التحكم في اللغة من أجل التواصل مع الآخرين و إقناعهم بوجهة نظرنا و بالرغم من أن اهتمام البلاغة قديما أو ما يعرف بالبلاغة الكلاسيكية قد انحصر في الجانب البياني المعياري التعليمي الذي يساعد على الكتابة و الإنشاء و الخطابة فقد اعتبرت أداة للإبداع، و وسيلة للتفنن في الكتابة للوصول إلى تأليف الكلام السامي، كما تعتبر أداة لاكتساب ملكة الفصاحة و البلاغة و البيان، إلا أن التحولات التي شهدتها هذه البلاغة مع سنوات الأربعين و الخمسين من القرن العشرين، خاصة بعد صدور مؤلف " مصنف الحجاج: البلاغة الجديدة" لشاييم بيرلمان و لوسي ألبرخت تيتكا حيث سعى بيرلمان إلى بعثها و تطويرها من خلال تركيزه على الجانب الحجاجي، الذي يعده أساس هذه البلاغة، فالبلاغة الجديدة ما هي إلا محاولة لإحياء هذا القديم في ثوب جديد، حيث أصبحت في العصر الحديث هي الحجاج في حد ذاته أي دراسة التقنيات الخطابية و تسعى في ذلك إلى إثارة النفوس و كسب العقول عبر عرض الحجج، فبرز البلاغة الجديدة كإطار نظري ثري أدى إلى إعادة تعريف الحجاج من جديد، متجاوزة النموذج الأرسطي القائم على البرهان المنطقي، مركزة على تفاعل الخطاب مع الجمهور و سياقات التواصل كما أن الحجاج يعتبر أحد مجالات البلاغة التي تفتح الباب لفهم جديد لكيفية توظيف اللغة و الإقناع في تشكيل الحجج كما يرى بيرلمان أن البلاغة الحديثة ليست

مجرد أداة للتأثير السطحين بل طريقة لخلق نقاش فلسفي يعزز من التفكير النقدي و المشاركة الفعالة.

و في أمل دراسة الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة، قمنا في دراستنا هذه بتسليط الضوء على الحجاج الفلسفي في منظور البلاغة الجديدة عند بيرلمان و كان عنوان بحثنا هذا: الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة، و تكمن أهمية دراستنا لهذا الموضوع في:

- هي انتقال البلاغة من المفهوم الجمالي إلى المفهوم العقلاني، حيث تحولت من علم يركز على الزخرفة اللغوية (كالبديع و البيان) إلى أداة عقلانية تعنى ببناء الحجج و الإقناع.

- يساهم هذا الموضوع في تحليل الخطابات اليومية لفهم كيفية توظيف الحجج العقلانية أو العاطفية للتأثير على المتلقين.

- إعادة إحياء البلاغة من جديد بثوب جديد، و التخلص من الموروث الأرسطي القديم.

- تعليم كيفية تمييز الحجج الصحيحة من الخاطئة.

- دراسة الحجاج الفلسفي يظهر كيفية اختلاف آليات الإقناع بين الثقافات.

ومن بين أهم الدوافع كالتالي:

1 دوافع موضوعية:

- كون هذا الموضوع هو إحدى الموضوعات الحديثة التي اهتم بها المفكرين و الفلاسفة المحدثين مثل بيرلمان و تيتكا و بول ريكور.

- توفر المصادر و المراجع.

- المدة الزمنية الكافي للخوض في هذا الموضوع.

- القيمة العلمية للموضوع التي تكمن أساسا في تغيير فهمنا للخطاب الفلسفي، من فهم منطقي عقلاني إلى فهم تواصلية لغوية و اجتماعية.

2 دوافع ذاتية:

- ميولي و رغبتي إلى الدراسات الحجاجية و البلاغية.

- قدرتي الشخصية في دراسة هذا البحث.

لقد فصل أرسطو الخطاب الفلسفي عن البلاغة ظنا منه أن ذلك الخطاب علمي منطقي يقول الحقيقة، لكن نظرية البلاغة الجديدة تثبت لنا العكس، أن الخطاب الفلسفي خطاب

تواصل اجتماعي و مرتبط بالتالي باللغة و البلاغة و الإيديولوجيا، و عليه نطرح الإشكالية العامة: بماذا يتميز الحجاج الفلسفي في نظرية البلاغة الجديدة؟ و تدرج تحتها أسئلة جزئية التالية:

- ما مفهوم الحجاج عامة؟ الحجاج الفلسفي خاصة و البلاغة الجديدة و تاريخ نشأتها؟
 - كيف تحولت أو انتقلت البلاغة من كونها بلاغة كلاسيكية معيارية تعليمية إلى بلاغة جديدة بثوب جديد تهتم بعملية التأثير و الإقناع؟
 - ما طبيعة الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة؟
- و لتحليل إشكالية البحث المحورية و مشكلاته الجزئية استخدمت: المنهج التحليلي النقدي لتحليل أهم الأفكار التي يتضمنها هذا البحث، و نقد البلاغة الكلاسيكية و ما جاءت به إلى جانب المنهج التاريخي في بعض المطالب.
- لذلك اقتضت خدمة البحث تقسيمه إلى مقدمة و ثلاث فصول و كل فصل يحتوي على مبحثين و كل مبحث يندرج تحته ثلاث مطالب، الفصل الأول المعنون ب: مدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي و البلاغة الجديدة، وهو يتشكل من المبحث الاول بعنوان:مدخل مفاهيمي للبلاغة الجديدة،حلت وشرحت فيه ثلاثة مطالب وهي :المطلب الاول :مفهوم البلاغة الجديدة،والمطلب الثاني :نشأة البلاغة الجديدة ، والمطلب الثالث :مبادئ البلاغة الجديدة و المبحث الثاني المعنون ب:مدخل مفاهيمي للحجاج الفلسفي ، حلت وشرحت فيه ثلاثة مطالب وهي : المطلب الاول :مفهوم الحجاج الفلسفي ،والمطلب الثاني :مفاهيم قريبة من الحجاج الفلسفي ،والمطلب الثالث :تاريخ تطور الحجاج الفلسفي مع الاهتمام بدراسة فلاسفة الغرب والعرب للحجاج الفلسفي ،اما في الفصل الثاني المعنون ب: من البلاغة الكلاسيكية الى البلاغة الجديدة ،وهو يتشكل من المبحث الاول بعنوان:البلاغة الكلاسيكية ،حلت وشرحت فيه ثلاثة مطالب وهي:المطلب الاول :مفهوم البلاغة الكلاسيكية ،والمطلب الثاني:نشأة البلاغة الكلاسيكية ،والمطلب الثالث:مبادئها التي تقوم عليها،والمبحث الثاني المعنون ب:انبعاث البلاغة الجديدة،في المطلب الاول تناولنا نقد بيرلمان للبلاغة الكلاسيكية،والمطلب الثاني :اسباب التحول من البلاغة الكلاسيكية الى البلاغة الجديدة،والمطلب الثالث:اتجاهات البلاغة الجديدة.اما في الفصل الثالث المعنون ب:طبيعة الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدةعند بيرلمان.والمبحث الاول المعنون ب:نظرية الحجاج

عند بيرلمان كمشروع ابستمولوجي و تاويلي، في المطلب الاول تناولنا مشروع بيرلمان والمطلب الثاني: التاويل في الحجاج عند بيرلمان و المطلب الثالث: ابستمولوجيا الحجاج عند بيرلمان، والمبحث الثاني: الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة عند بيرلمان، في المطلب الاول تناولنا المسلمات والمقومات التي يقوم عليها الحجاج الفلسفي و في المطلب الثاني تقنيات الحجاج الفلسفي و في المطلب الثالث اثر نظرية الحجاج عند بيرلمان على الخطاب الفلسفي المعاصر.

تشكل الدراسات السابقة ذات علاقة بالموضوع اطار مرجعي نستند عليه في دراستنا ،وفيما يلي عرض موجز لمجموعة من الدراسات :

الدراسة الاولى: " الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي " اطروحة دكتوراه قدمها الباحث "نورالدين بوزناشة" تخصص تعليمية اللغة العربية سنة 2016 / 2015 جامعة محمد لمين دباغين سطيف - 2- انطلق الباحث في دراسته بمجموعة من الأسئلة: كيف يبرز الحجاج في الدرس البلاغي العربي؟ و كيف نظر البلاغيون للحجاج؟ ما هو الحجاج؟ و مال علاقته بالخطاب و البلاغة؟ كيفلا نظر الغربيون للحجاج؟ و ما منطلقاتهم و تقنياتهم؟ اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي و التقابلي و المقارن و قد توصلت الدراسة من خلال التحليل إلة عدة نتائج أهمها:

-يراد بالحجاج في الاصطلاح تقديم الحجج التي تؤدي إلى الإقناع، لأن الحجاج أساسه الحجج التي من خلالها يستطيع المتكلم إقناع مخاطبه، و يبدو هذا التعريف جامعاً و شاملاً لكل ما أورده القدماء و المحدثون.

-تؤدي اللغة و وظيفة حجاجية، و لذلك يعد الحاج سمة بارزة في اللغة، و على هذا الأساس وجدنا الفلاسفة و اللسانيين و البلاغيين على شتى مذاهبهم يركزون بحثهم عليها بوصفها أداة للحجاج و هو ما لمحناه عند أرسطو و الجاحظ و بيرلمان و ديكر.

- لا يقتصر الحجاج على لغة أو ثقافة دون غيرها و إنما هو مرتبط بوجود الإنسان و طبعه الميال إلى حب الجد.

الدراسة الثانية: الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر " البلاغة و السرد لمحمد مشبال " أطروحة دكتوراه قدمها الباحث " قعموسي عبد القادر " تخصص اللغة العربية و

آدابها سنة 2017 / 2016 جامعة جيلالي الياس سيدي بلعباس انطلق الباحث في دراسته
بجموعة من الأسئلة:

- ماهي المظاهر و الاستراتيجيات التي اتبعها الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي
المعاصر؟

- ما هي مستويات الأفعال الكلامية التي تساهم في بناء الخطاب الحجاج؟
اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي و المنهج التداولي و قد توصلت
الدراسة من خلال إلى عدة نتائج أهمها:

- أن الحجاج برز بشكل جلي في خطابات متنوعة أوجدها الواقع السياسي و
الاجتماعي و الثقافي، و الذي ظهر في البلاغة الجديدة بأهداف بلاغية تتركز في
مجملها في الوصول إلى القواعد و النماذج التي يستطيع بها المتكلم او الخطيب ان
يؤثر في جمهوره ويحركه بحججه المقنعة.

- اعتبر بيرلمان البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج لأن المكونات الأسلوبية الموجودة في
خطاب ما، هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجاج، و أن البلاغة لم
تعد لباسا خارجيا للحجاج بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة.

- يركز الجاحظ على الخطاب لا على الحكاية حيث يتوخى الوظيفة البلاغية لا
الوظيفة الإبلاغية.

الدراسة الثالثة: " استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي " مذكرة لنيل شهادة
الماجستير قدمتها الباحثة فاطمة يحيى تخصص اللغة و الأدب العربي سنة 2014 جامعة
مولود معمري تيزي وزو، انطلقت الطالبة في دراستها بمجموعة من الأسئلة ما دور المغالطة
إزاء هذه القواعد و الآليات؟ و كيف بإمكانها أن تستثمر هذه المكونات بطريقة تجعلها
تتقمص ظاهرا صلاحية الحجة المستقيمة و تضم مقاصد تغليطية؟
و قد توصلت الدراسة من خلال التحليل إلى عدة نتائج أهمها:

- كشفت هذه الدراسة عن وجود الاستراتيجية في التراث الأدبي العربي و بمستويات
متعددة، فالخطاب يشكل النواة الأساسية التي تنبغي عليها المغالطة.

- كشفت هذه الدراسة أن عاطفة المخاطب من أهم المنطلقات التي يمكن ان تستغلها
استراتيجية المغالطة سواء بالترهيب او الاغواء.

-مايجعل المغالطة حجة سليمة ظاهريا اعتمادها على نفس مكونات الحجة السليمة
فتستخدم الشاهد والمثال والسلم الحجاجي بنفس طريقة الحجة السليمة.
و الأهداف المتوخاة من هذا البحث هي:

- الكشف عن معنى الحجاج الفلسفي من منظور البلاغة الجديدة و الآليات الحجاجية التي تستند إليها البلاغة الجديدة في تحليل الخطابات بأنواعها .
- المقارنة بين مفهوم الحجاج في البلاغة القديمة والحجاج في البلاغة الجديدة.
- معرفة اسهامات البلاغة الجديدة في نقل البلاغة من مجرد زخرفة لغوية إلى أداة حجاجية عقلانية .

و كأني بحث لا بد من وجود صعوبات وعراقيل تواجه هذه الدراسة والتي تتمثل في:

1- تعدد المصادر والمراجع وهذا مآدى الى التشتت وفقدان التركيز بين وجهات نظر متعددة.

-صعوبة تقييم جودة ومصداقية هذه المصادر والمراجع.

-قراءة وفرز المراجع يستغرق وقتا طويلا وبالتالي تاخير عملية الكتابة.

2- صعوبة ضبط الخطة بسبب كثرة المصادر والمراجع وقراءتنا المتكررة حول الموضوع شتت اذهاننا حول تنسيق عناصر البحث بالاضافة الى كثرة العناصر التي تخدم الموضوع صعب علينا اختيار ما يلائم أكثر لهذا الموضوع من بين هذه العناصر.

و في الأخير أحمد الله و أشكره على توفيقه لي في إنجاز و إتمام هذا العمل

المتواضع. و إذا كان الفضل في هذه الدراسة بعد المولى عز و جل فإنه يعود إلى توجيهات و إرشادات الأستاذ الفاضل، المشرف على البحث الأستاذ الدكتور عقيبي لزهرة فقد كانت لملاحظاته كبير الأثر في تأسيس فصول و مباحث هذه الدراسة فجزاه الله خير جزاء و جعله ذخرا لطلبة العلم.

كما أوجه شكري للجنة المناقشة على مجهودها المعتبر في تقييم البحث و التي سوف نأخذ ملاحظاتها بعين الاعتبار و نستفيد منها مستقبلا.

الفصل الأول:

تمهيد:

يعد الحجاج الفلسفي ركيزة أساسية في بناء الخطاب الفلسفي بوصفه خطابا تواصليا يهدف إلى الإقناع و تبادل الأفكار، إذ لا تكتمل بنية الدرس الفلسفي دون اتقان آلياته و مهاراته. فالمقاربة النصية في تدريس الفلسفة ترتبط ارتباطا وثيقا بممارسة الحجاج و التعرف على الأساليب الحجاجية التي يستخدمها الفلاسفة في صياغة أفكارهم، و من هنا تبرز ضرورة تعلم مهارات الحجاج، ليس فقط لصياغة المقال الفلسفي أو بناء الحوار العقلاني بل لتحويله إلى نشاط مركزي في العملية التعليمية، بدلا من كونه مجرد تكميلي يقتصر دوره على تعميق المعارف ضمن جامد يفتقر إلى الحيوية كما هو الحال في بعض المناهج العربية.

لا يخفى أن الواقع التعليمي الحالي للفلسفة في عدد من البيئات العربية يوصف بالرتابة و البرود التربوي حيث تعالج الإشكاليات خارج سياقتها المعرفية و المرجعية، مما يفقدها عمقها الحجاجي، في حين أن جوهر التفكير الفلسفي يقوم على الحجاج بامتياز، فهو لا ينفصل عن استخدام الأدلة، و نقد المقولات و بناء الحجج المنطقية، لذلك يظل تحويل الحجاج إلى نواتي في الدرس الفلسفي تحديا يتطلب إعادة النظر فس المناهج و الاستراتيجيات التعليمية لضمان تفعيل دوره كأداة فاعلة في صقل العقل النقدي و تشكيل الوعي الفلسفي و لذلك نجد الفلاسفة يستخدمون أساليب حجاجية متعددة و متنوعة تختلف حسب السياق الثقافي الذي جاء فيه، ونجد أهم هذه الأساليب، أساليب استدلالية كالاستدلال الاستقرائي أو الاستنباطي أو الاستدلال بالمماثلة أو الاستدلال بالخلف كذلك نجد أساليب واقعية مثل الحجة بالسلطة أو الاستشهاد بوقائع علمية اجتماعية أو تاريخية أو أساليب بلاغية كالاستعارة أو التشبيه أو المثال هاته الأخيرة التي تعتبر نقلة نوعية في دراسة الحجاج و الخطاب حيث تجاوزت المنظور الكلاسيكي للبلاغة الذي ركز على تقنيات الإقناع في الخطابات العامة أو الأدبية، إلى تبني رؤية فلسفية أعمق تعيد تعريف الحجاج بوصفه عملية عقلانية و اجتماعية تهدف

إلى بناء المعنى و تبرير المواقف في سياقات ثقافية و قيمية متعددة ارتبطت هذه المدرسة بشكل وثيق بأعمال الفيلسوف بيرلمان (Charm Perelman) ولوسي أولبرختس تيتيكا (Lucie Olbrechts Tyteca) خاصة في كتابهما "مبحث الحجاج في البلاغة الجديدة" الذي أعاد اكتشاف دور البلاغة كأداة فلسفية لفهم كيفية تشكيل الحقائق و القيم عبر الخطاب. و في هذا الفصل المعنون بمدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي و البلاغة الجديدة سنوضح مفهوم الحجاج الفلسفي و البلاغة الجديدة و بيئة ظهورهما مع المبادئ التي يقومان عليها.

مبحث أول: مدخل مفاهيمي للبلاغة الجديدة

تمهيد:

تعد البلاغة الجديدة امتدادا و تطورا للبلاغة الكلاسيكية فمع منتصف القرن العشرين أصبحت في ثوب جديد فهي تسعى جاهدة إلى تجاوز المفهوم التقليدي الذي كان تركيزه على الفصاحة و البديع، و انتقالها من مجرد دراسة الأساليب اللغوية و الجماليات إلى مفهوم أكثر شمولية يتناول الخطاب في سياقاته المختلفة فقد أصبحت أداة فعالة لتحليل مختلف أشكال الخطاب في العصر الحديث قائمة على الحجاج الذي بدوره مهمته الاقناع بدلا من الاقتصار على الأساليب الجمالية. كما أن البلاغة الجديدة جاءت كرد فعل على الجموع الذ ي أصاب البلاغة التقليدية، في هذا المبحث سنتناول المبادئ التي قامت عليها البلاغة الجديدة، مع التركيز على كيفية تطورها من البلاغة الكلاسيكية إلى ما هي عليه اليوم.

أولاً: مفهوم البلاغة الجديدة:

لغة: جاء في لسان العرب أن البلاغة هي الفصاحة أي فصاحة اللسان و الأسلوب. و يوصف الإنسان بأنه بليغ إذا كان قادرا على على إيصال المعنى إلى المستمع فيقال " رجل بليغ و بلغ حسن الكلام فصيح يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه". (بن منظور، دس، ص346).

اصطلاحاً: كان لعلماء البلاغة منذ القدم دور و اجتهاد كبير في وضع تعريف لهذا العلم فهي عند القزويني: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته (مجد، دس، ص13) " أي أن الكلام البليغ هو الذي يتناسب مع السياق الذي يقال فيه مع الفصاحة و الوضوح في آن واحد أما عند أبو هلال العسكري: إصابة المعنى و إيقاعه في النفس و قوعا حسنا (أبو هلال، دس، ص19). أي أن الكلام البليغ هو الذي يعبر عن المعنى بشكل دقيق و يؤثر في المتلقي بشكل جيد. أما عند الغرب فنجد مفهوم البلاغة من المنظور الأرسطي: "فيرى أرسطو أن البلاغة مثل المنطق، لا تتعامل مع فئة محددة من الموضوعات، و أنها مفيدة، و أن

عملها ليس الإقناع المطلق، بل التعرف على المواضيع المناسبة للإقناع".

(AristoTlis ,1833,p10)

ثانيا: نشأة و تطور البلاغة:

شهد العصر الحديث عملية الفصل بين مختلف العلوم الإنسانية، و بطبيعة الحال انجرت عن عملية الفصل ظهور العديد من التخصصات، فقد صرح عالم المنطق شايم بيرلمان في كتاب له "مصنف في الحجاج"، ليكرر ذات التصريح في كتاب لاحق " إمبراطورية البلاغة بأنه قد فوجيء عند وضعه منطق للقيم يوازي المنطق الصوري الرمزي فما كان يبحث عنه موجود في علم قديم يدعى البلاغة أي بلاغة أرسطو تحديدا. أما الجانب الثاني و الثالث من هذا العلم فيتعلقان برحلة برحلة البحث عن جوهر الأدب و أسرار الأدبية، مما يؤدي إلى ضرورة استكشاف هذه القضايا ضمن إطار نظرية الخطاب، التي كانت تمثل موضوعا رئيسيا لعلم البلاغة. و قد انتهى تودوروف إلى أن البلاغة علم متميز في مجال البحث عن الأدبية، و ذلك غي إطار قراءة نقدية لنظرية المحاكاة التي تعود إلى جماليات القرن الثامن عشر. و بعد مرور عقدين من الزمن و ما بعدهما، أصبح من الأجدر البحث عن الأدبية كجزء من الخطاب، بدلا من التركيز على الأدب بمعناه التقليدي، و قد أعلن فان دايك (Fan Dyck) أن علم النص هو الوريث الشرعي للبلاغة، على الرغم من أن بعض الباحثين اعتبروا الأسلوبية بديلا عن البلاغة القديمة، و مع ذلك بم تحاول الأسلوبية أن تحل محل البلاغة بشكل كامل بل استمرت البلاغة القديمة في الحفاظ على مكانتها خاصة في الجوانب التي تتعلق بالبعد التداوي للخطاب، وهو ما أبرزه الباحثون بشكل واضح و مع ذلك استطاعت البلاغة أن تفرض نفسها في جميع المراسم التي تتعلق بالخطاب بكل أنماطه و تجلياته يقول أوليفية ريبول " البلاغة ضرورة لا عنى عنها، و لذلك فإننا نلجأ إلى البلاغة إلا لإنشاء بلاغة أخرى" و هذا ما يشهد به التاريخ حيث عادت البلاغة إلى الواجهة بعد أن كانت قد سقطت في النسيان حتى نهاية القرن التاسع عشر، لتعود بقوة خلال ستينيات القرن العشرين، و توالى جهود الباحثين في التنقيب عن كنوز علم

البلاغة، حيث لا يمكن فك شفرة مختلف الخطابات دون اللجوء إلى هذا العلم، و مع ذلك فإن القول بموت البلاغة يتطلب التوقف و التأمل، لأنه كما رأينا مرارا (هندة، 2017، ص 25). البلاغة لا تزال حية و فاعلة. يجب دائما قراءة البلاغة في إطار هذه اللعبة البنيوية التي تجمع بين النحو و المنطق و الشعرية و الفلسفة فهي لعبة النسق المعبرة تاريخيا، و ليست مجرد أداة لغوية عابرة.

و قد قسم رولات بارت تاريخ البلاغة إلى مرحلتين رئيسيتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الخطاب الأرسطية حيث وضع أرسطو أسس الخطابة في مؤلفيه " الخطابة" (Rhetorique) و فن الشعر (Poétique). في هذه المرحلة ركز أرسطو على الخطاب التداولي في الخطابة، و بينما اهتم بالخطاب التخيلي و في فن الشعر فقد كانت الخطابة تستخدم في المعاملات اليومية و الخطب السياسية و الأخلاقية و كذلك في المحاكم بينما كان الشعر يعتمد على الإيحاء و التخيل بدلا من الإقناع بالحجج.

المرحلة الثانية: بدأت بذور هذه المرحلة مع الشاعر الحكيم أوفيد (Ovid) و الشاعر السياسي هوراس (Horace) حيث بدأ دمج الخطابة و الشعر، هوراس مثلا كتب رسالة في صناعة الشعر جعل فيها الآلة الخطابية أداة لدراسة الشعر مما أدى إلّا تداخل كتب صناعة الشعر مع كتب الخطابة.

البلاغة بين الخطاب التداولي و الخطاب الأدبي: طوال تاريخها تذبذبت البلاغة بين الخطاب التداولي الحجاجي و الخطاب الأدبي و التخيلي، و مع ذلك فإن اختزال البلاغة في الجانب الجمالي و الأسلوبي يعتبر تضيقا لدورها، حيث أن البلاغة كانت دائما مرتبطة بالخطاب التداولي الحجاجي. الخطابة لم تتوقف عن التذبذب بين السقوط الذي يهددها و الصعود الذي يحملها نحو الشمولية حيث تطمح لأن تتساوى مع الفلسفة.

يحذر أفلاطون من انزلاق الجدل إلى السفسطة، حيث يتحول عن الإقناع إلى أداة للخداع فيختزل الاتفاق المسبق حول الأفكار المقبولة في أفكار مبتذلة سلفا، ليصبح فن الامتناع مجرد فن للإغواء. هذا التحول يمثل المنحدر الأخطر للخطابة، إذ تتحول من وسيلة إقناعية

إلى أداة لتزييف الحقائق عبر التركيز على الزخرفة الشكلية للخطاب على حساب وظيفته الإقناعية مما يهدد وجودها بتحويلها إلى مستنقع من العبث. أما صعود الخطابة فيتمثل في توسعها ليشمل مختلف المقامات التي ارتبطت بها تاريخياً (القضائي، الاستشاري، الاحتفالي). لتتجاوز ذلك إلى كل الخطابات الإنسانية المرتبطة باللغات الطبيعية فاللغة العادية هي استخدام اللغة الطبيعية في سياقات تواصلية تخدم أغراض المتخاطبين، كما أوضح أرسطو في كتابه الثاني عن الخطابة ليصبح الخطاب الإنساني بذلك فنا مفرطاً إنسانيته.

بعد عصر أرسطو شهدت البلاغة انشقاقات عديدة و أصبح توحيد شقيها (التداولي و التخيلي) صعباً، فالخطابة اليوم تعيش حالة تشظي "فشاييم بيرلمان" أ سس نظرية الخطابة البرهانية المرتبطة بالجدل في كتابه مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة"، بينما طول "ميشيل ماير" نظرية خطابة النوازع و ركزت جماعة "ليج" خطابة النص و الصياغة اللغوية، مشكلة ما يعرف بالبلاغة العامة. و بعد الحرب العالمية الثانية حاول البلاغيون إحياء البلاغة القديمة خلال ستينيات القرن العشرين عبر توظيفها في اتجاهين:

1 الحجاج و الجدل (الخطابة التداولية).

2 الأسلوب و الشعر (الخطابة التخيلية) قبل أن تظهر صياغات عامة ذات طابع سيميائي تشمل الخطابة بكليته.

يتضح مما سبق أن مصطلح "البلاغة يشير إلى العلم الكلي الذي يدرس الخطاب الإنساني غير البرهاني مقابل الخطاب العلمي الرياضي الصارم فهي تنقسم إلى مكونين أساسيين:

- الخطاب التخيلي (الشعري).

- الخطاب التداولي (الحجاجي) ، و البتالي يصح الحديث عن :

- بلاغة شعرية تخيلية (تتبع الشعرية).
- بلاغة حجاجية خطابية (تتبع الخطابة). و كلاهما ينتمي إلى علم البلاغة الكلي

الذي يجمع بين الإبداع الأدبي و فنون الإقناع. (هنده، 2017، ص26)

ثالثا: أسس البلاغة الجديدة:

تتبنى البلاغة الجديدة على أساس موحد يجمع تياراتها عبر العصور يتمثل في الخطابة كأداة مركزية لتحقيق الإقناع وإحداث الأثر المنشود في المتلقي ، غير أن هذا اختلاف الأولويات بين عناصرها الفرعية هو ما يمنح كل مرحلة زمنية طابعها المميز وإذا عدنا إلى الجذور الأولى لهذه البلاغة، نجد أنه أسسها البنائية تعود إلى السفسطائيين الذين اعتمدوا على سلطة الخطاب اللغوي في التأثير على الجمهور و تنشر أفكارهم مستدين إلى ركنين رئيسيين: (هناء، 2019، ص 94)

1 الخطيب: حيث يعتبر الإقناع نتاجا لمهارة الخطيب في توظيف الحجج المحكمة و

الأدلة الظاهرة و المضمرة، لترسيخ صورة " الحقيقة" التي يطرحها حتى لو كانت نسبية تتبع من قناعاته الذاتية لا من الواقع الموضوعي، و هنا تكمن براعة الخطيب في تحويل تلك الحقيقة إلى أداة تخدم قضايا المجتمع، عبر خطابات مرنة قابلة للقبول أو النفي.

2 اللغة: يركز الاهتمام هنا على الإمكانيات التعبيرية الهائلة للغة و قدرتها على تحقيق

المقاصد الإقناعية عبر صيغات مبتكرة تلامس وجدان المتلقي، فالإقناع في هذا السياق بعد منفعة تتحقق من بلاغة القول و فصاحته، مما يستدعي التركيز على عناصر اللغة كالألفاظ و التراكيب و الصور البيانية لإعادة تشكيل الخطاب بما يضمن استمالة الجمهور و تحقيق الغاية المرجوة. (هناء، 2019، ص 94)

هكذا تتفاعل عناصر البلاغة الجديدة في إطار ديناميكي، يتجاوز الشكل التقليدي إلى بناء خطاب حيوي يوائم بين قوة الحجة و جمالية التعبير.

المكونات البنائية للبلاغة الإقناعية عند السفسطائيين: تقوم البلاغة الإقناعية عند

السفسطائيين على ركنين أساسيين: الخطيب و اللغة مع اشتراطهم مجموعة من الضوابط لتحقيق فعالية الخطاب الإقناعي، و تعظيم نفعية الكلام في التأثير على المتلقي، و من أبرز هذه الشروط:

1 الارتباط بسياق الواقع و العلاقات الإنسانية إذ يجب أن يتواءم الخطاب مع الظروف الاجتماعية و السياق الزمني و طبيعة الروابط بين الأفراد لضمان تفاعل الجمهور معه.

2 مراعاة مقاصد الخطيب و حالة المخاطب: فتنوع أدوات الإقناع بحسب الغايات التي يهدف إليها الخطيب و الحالة النفسية أو الفكرية للمتلقى، مما يجعل البلاغة مرنة و قابلة للتكيف.

3 تنوع الأساليب و استثمار الاحتمالات اللغوية: عبر توظيف الوجوه المتعددة للخطاب و اللجوء إلى التعبيرات المحتملة التي تفتح آفاقا تأويلية تخدم هدف الإقناع.

4 الإعتماد على الاستدلال المنطقي: إلى جانب العناصر التقليدية للخطابة (المقدمة، السرد، الاستطراد، الخاتمة) يعد الاستدلال أداة جوهرية لبناء الحجج و ترسيخ اليقين لدى المتلقى.

البلاغة السفسطائية في السياق الغربي: انطلقت الممارسة البلاغية عند السفسطائيين و غيرهم من المفكرين الغربيين قديما و حديثا من الخطابة كفن يركز على الوظيفة العملية للكلام و الوسائل المثلى لتحقيق الإقناع المباشر و بناء القيم الإنسانية و قد تميزت هذه البلاغة بانزياحها عن الأسس الشعرية القائمة على الخيال و العاطفة لترتكز بدلا من ذلك على مبادئ فلسفية واقعية تعلي من شأن النفعية و الفاعلية في إقناع المتلقى و لتحقيق هذه الغاية اتسمت لغة الخطاب السفسطائي بالواقعية و الوضوح حتى عندما امتزجت بعناصر عاطفية، إذ كان الهدف الأساسي هو إثارة التأثير الفوري في الجمهور .(هناء، 2019، ص95).

يعود سبب إقصاء أفلاطون لبلاغة السفسطائيين إلى اعتقاده بعدم فائدتها أو الحاجة إليها إذ يرى أنها تنتمي إلى الخطابات الملتوية التي تعتمد على التلاعب بمشاعر المخاطبين و التأثير في عواطفهم بدلا من مخاطبة العقل، فسعى إلى استبدال هذه الأساليب بصور أخرى تقوم على الحوار المتبادل و المناقشة العقلية الهادئة، و التي تتمحور حول أساليب السؤال و

الجواب دون اللجوء إلى السلطة القهرية. هكذا أصبح الحوار عند أفلاطون شرطاً أساسياً للإقناع حيث يسعى كل طرف إلى إقناع الآخر عبر الحجج الموضوعية في إطار وحدة موضوعية واحدة. و قد تبنى أفلاطون منهج أستاذه سقراط في محاوره السوفسطائيين و نقد أفكارهم انسجاماً مع دعوتها إلى عالم مثالي تسوده الحقائق المطلقة، و هذا ما أدى إلى صدام بين رؤية أفلاطون الفلسفية المثالية و الأسس البنائية لبلاغة السوفسطائيين على دور المتلقين معتبراً أن مسؤولية تحقيق النفع من الخطاب تقع على عاتق البليغ لا المتلقي نفسه و من هنا وضع شروطاً صارمة لبلاغة مقبولة تتمثل في:

- تحقيق فائدة ملموسة للمتلقي عبر تقديم معرفة حقيقية.

- مراعاة نفسية الجمهور و ملاءمة الخطاب لطبائعهم.

- تناسب الأساليب البلاغية مع سياقات الكلام المختلفة.

هكذا تحولت البلاغة عنده إلى علم يقيني قائم على الحقائق المادية و المنطق العقلي الصارم و رفض أي دور للعواطف أو التلاعب بمشاعر الجمهور، باعتبارها أدوات تضلل العقل و توهم المتلقي. في المقابل يرى أرسطو أن البلاغة ليست علماً يقينياً بل فناً احتمالياً يرتبط بالعلاقات الإنسانية داخل المجتمع و تتبني رؤيته على عاملين رئيسيين:

1 الصراع بين منطقيين:

- منطق اليقين المطلق (الذي يتبناه أفلاطون).

- منطق الاحتمال النسبي (الذي تمارسه البلاغة في الواقع الاجتماعي). هنا تظهر

وظيفة البلاغة في توليد التأثير المناسب لكل حالة، عبر خطاب مرن يوحد المجتمع

باستخدام أدوات مستمدة من طبيعة الإنسان ذاته.

2 عدم ثبات التعريفات: فالشيء الواحد قد يدرك بشكل مختلف بناءً على سياقه، مما

يعمق الاختلافات و يحتم استخدام الجدل و الحجج المتنوعة للوصول إلى الإقناع

بعيداً عن القياس المنطقي الصارم. (هنا، 2019، ص 96).

تبنى أرسطو في بلاغته مفهوما احتماليا عمليا للإقناع، يقوم على عقلنة الخطاب دون إلغاء دور العواطف في التأثير مع تركيزه على بناء الحجج و مراعاة سياقات الخطاب المختلفة و لهذا شملت بلاغته جميع أنواع الخطابات: السياسية (التداولية)، و القضائية و الاستعراضية (الاحتفالية)، مستندة إلى التقسيم الثلاثي المعروف للعناصر الخطابية:

-المرسل (الخطيب).

-المرسل إليه (المتلقي).

-الرسالة (الخطاب ذاته).

كما أعطى الأولوية للغة (اللوغوس) كأداة مركزية لتحقيق التأثير، معتبرا أن الإقناع لا يتحقق بالحجج العقلية و حدها بل بدمجها مع العوامل الإخلاقية و العاطفية.

شروط الإقناع عند أرسطو:

(1) الخطيب: يشترط فيه الأخلاق و الثقة إذ تمنح قوة الخطاب من فضائله

الشخصية كالفتنة و الصدق. يجب أن يتقن بناء الحجج المنطقية و القدرة على الاستدلال الخطابي

(2) الجمهور (السامعون): التركيز على تهيئتهم النفسية و الاجتماعية و فهم

ميولهم لاستمالتهم. تحقيق الانسجام بين الخطاب و توقعاتهم لضمان استجابتهم.

(3) الخطاب ذاته: ضرورة بناء الحجج بشكل محكم مع مراعاة الجماليات الأسلوبية

لكن دون أن تطغى على المضمون. التأكيد على أن الإقناع يحدث عبر تغيير معتقدات المتلقي أو تعزيزها لا مجرد إثارة المشاعر.

الجماليات و الأسلوب:

رفض أرسطو أن تكون الجماليات اللفظية غاية بذاتها، بل اعتبرها أداة لخدمة الغاية الإقناعية. ف" النسيج اللغوي " (الصياغة) و حده لا يكفي للإقناع إن لم يقترن بالحجج الموضوعية و الأخلاقية. هكذا اكتملت أركان البلاغة الأرسطية عبر دمج ثلاثية عقلانية

الحجج، و أخلاقيات الخطيب و انفعالات الجمهور لتصبح نظرية متكاملة قادرة على تفسير فعالية الخطاب في الواقع الاجتماعي المعقد.

تعد بلاغة أرسطو في الإقناع امتدادا و تطويرا للمقاييس البلاغية السابقة، حيث أضاف إليها أطرا و منهجيات جعلتها أساسا اعتمده المفكرون المعاصرون في صياغة ما يعرف ب: " البلاغة الجديدة" و التي أعادت إحياء المبادئ الأرسطية مع تحديثها لتتناسب مع السياقات الحديثة. و قد استندت البلاغة اليونانية كمؤسسة لهذا الفن إلى خصائص مميزة منها:

(1) الخطاب كأداة مركزية للإقناع: اعتبرت الخطابة فنا يحول الأفكار المجردة إلى

خطاب منظم ينقل الأفكار من عقل المتكلم إلى عقل الجمهور عب تدرج منطقي.

(2) البنية الثلاثية للخطاب: تقسيم الخطاب إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:

- المقدمة: لاستقطاب الانتباه

- عرض الحجة (الاستطرد): لتفصيل الأفكار و تقديم البراهين.

- الخاتمة: لتلخيص النتائج.

(3) دمج الأدوات الثلاثة للإقناع:

- الفكرية (المنطق): عبر الحجج العقلانية.

- العاطفية (الانفعال): عبر مخاطبة مشاعر الجمهور.

- اللغوية (الأسلوب): عبر صياغة جمالية تزيد من تأثير الخطاب.

(4) جوهر البلاغة الجديدة:

لم تكن البلاغة الجديدة مجرد " إعادة انتاج " لأفكار أرسطو بل بعثا معاصرا لها حيث

حولت الخطابة من فن تقليدي إلى نظام تحليلي قادر على تفسير آليات الإقناع في

وسائل الاتصال الحديثة مع الحفاظ على الجوهر الثلاثي: العقل، العاطفة، و اللغة.

(. هناء ، 2019، ص 97، 98).

نستنتج مما سبق أن البلاغة تعد تطورا حديثا في دراسة الخطاب حيث تركز على التأثير و الاقناع بدلا من الاقتصار على الجوانب الجمالية للغة حيث تعزز فهم كيفية توجيه المعاني وفقا للسياقات المختلفة. كما تساعد في تحليل الخطابات بطرق أكثر ديناميكية، مما يواكب التغيرات الثقافية و الاجتماعية.

المبحث الثاني: مدخل مفاهيمي للحجاج:

يعتبر الحجاج الفلسفي أحد الدعائم التي تقوم عليها الممارسة الفكرية للإنسان فهو الآلية التي تحول الأفكار المجردة إلى بنى منطقية قابلة للنقاش و التنفيذ، و الجسر الذي يربط بين الذاتي و الموضوعي في سعي الفلسفة الدائم لفهم الوجود و إدراك حقيقة الكون و ذلك من الفترة اليونانية القديمة مع سقراط و أفلاطون و أرسطو، و حتى في العصر الحديث مع فلاسفة ما بعد الحداثة و قد ظل الحجاج أداة مركزية لبناء المعرفة الفلسفية و هو ما يجعل دراسته مفتاحا مهما لفهم تطور الفكر الإنساني ذاته في هذا المبحث سنتناول مفهوم الحجاج الفلسفي و كيفية تطوره في الفلسفة.

أولاً: مفهوم الحجاج: Argumentation

لغة: يعرف جميل صليبا على أنه "جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج و الاستفادة منها". (جميل، 1972، ص447). سواء كانت هذه الأدلة (عقلية كالاستدلال المنطقي، القياس، التحليل) أو نقلية (كالنصوص الدينية، الأحاديث، الإجماع...).

اصطلاحاً: لقد نال الحجاج اهتماما كبيرا لدى الفلاسفة و المفكرين حيث يعرفه أندري لالاند بقوله: " هو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها أو طريقة عرض الحجج و ترتيبها بحيث تتجه جميعا نحو استنتاج أو خلاصة". (أندريه، 2001، ص94).

أما آراء ميشال ميار في الحجج متصلة بتحديد طبيعة الكلام و وظيفته التساؤلية لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجا فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه

دلالاته، و الحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي و المكتوب الأدبي و غيره".

" إن الحجاج متعلق لدى ميار بنظرية المساءلة و هو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/ جواب". (حمادي، دس، ص394).

أما شايم بيرلمان Ch-Perelman مفكر بلجيكي معاصر من أصحاب البلاغة الجديدة فإنه يعرف الحجاج بأنه " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم"(حمادي، دس، ص 299). حيث تمثل تقنيات الخطاب أدوات الإقناعية التي تهدف إلى كسب تأييد المتلقي للأفكار و الآراء المطروحة، أو تعزيز درجة تصديقه لها. و من هنا يمكن تعريف الحجاج بوصفه الآلية التي يعتمد عليها المتكلم لتحقيق تقبل المتلقي لرؤاه و انتقاداته و مواقفه الفكرية، عبر تفعيل البنى اللغوية و الحجج المنطقية التي تتوافق مع قيمه و نسقه الثقافي.

بعد تعرفنا على مفهوم الحجاج عامة، نأتي إلى الحجاج الفلسفي بصفة خاصة، حيث يعتبر توزي" أن الحجاج أساس التفكير عند الإنسان، فالتفكير أساسا يقوم على حجاج الذات، إنه نوع من ثنائية الذات مع نفسها، حيث تصبح هذه الذات هي المتحاور و المحاور، و يضيف أن الحجاج الفلسفي يكون عقليا لا عاطفيا، و ذلك عبر توجهه نحو جمهور عالمي، لهذا يجب أخذ اعتراضات الآخرين على وجهة نظرنا و حججنا كمثيرات للتفكير". أي ما يحكم الخطاب الفلسفي هو العقل الكوني.

كما أنه يجب علينا التمييز بين الحجاج و البرهنة فالرياضيات تنطلق في بديهيات أو مبادئ قبلية يقينية، بينما الفلسفة تنطلق من مبادئ نظرية تحل إشكالياتها عن طريق ما يعرف بالاستنباط لهذا فضل كانط " أن يطلق على الأدلة الفلسفية اسم الحجج

الفلسفية و العملية التي يعطي فيها الفيلسوف حججه هي الحجاج، إذ لا يوجد في الفلسفة براهين بل حجج، و الموضوع الفلسفي هو نوع من البرهنة بالحجج، إنه يبدأ بالمفهمة و الأشكلة و لكنه سرعان ما ينتقل إلى الحجج ليستعرضها و يستخدمها في الدفاع عن وجهة نظره". (بيارمالك، 2016، ص161/162).

نستنج إذا أن الفلسفة لا تقوم على التحليل فقط إنما تقوم أيضا على الحجاج وهو فن إعطاء الحجج بطريقة و أسلوب بلاغي جيد و فنيا يهدف للإقناع.

الحجاج الفلسفي عند الغرب و العرب:

عند الغرب: لقد شهدت الحقبة اليونانية ممارسات حجاجية عديدة اتخذتها فلاسفتها، مكنتهم من التنظير لفنون الجدل و الحوار، و الخطابة و أدبيات المناظرة على رأسهم السفسطائيين حيث بعد إسهام السفسطائيين في نظرية الحجاج إسهاما جوهريا إذ أنهم يعتبرون روادا في صياغة أدوات التأطير الخطابية (Figures de cadrage) التي تسمح بتقديم وجهة نظر أو تصويب رؤية أو ميزة لموضوع أو لرأي ما، إلى أن برزت النظريات الأولى للحجاج في سياق النقاشات الفكرية الحادة التي شهدتها أثينا خلال القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد، حيث مثل السفسطائيون نقلة نوعية في تاريخ الفكر فقد حولوا البلاغة من مجرد مهارة خطابية إلى حقل معرفي متكامل، و رسخوا فكرة أن الكلام ليس أداة فحسب بل قوة قادرة على تشكيل الواقع معتمدين على الجمالية اللغوية كوسيلة للإقناع و النظر إلى الإنسان ككائن يخضع لسلطة اللغة، " و هذا ما يساعد على فهم النص الوحيد للسفسطائي الأول بروتاغورس دابدير (Protagiros d'Abdère) (480-408 ق م) الذي يقول فيه "إن الإنسان هو مقياس كل الأشياء تلك التي لها وجود و تلك التي ليس لها ماهية ليس لها وجود". و لأجله لم يقتصر دور السفسطائيين على كونهم مفكرين فحسب، بل اختاروا أن يكونوا معلمين مهنيين ينتقلون بين المدن اليونانية، يتبادلون الحكمة و المعرفة و القدرات الخطابية مقابل المال (مجد، 2023، ص36). لقد امتلكوا مهارات استثنائية في فن الإقناع، عرفوا بقدرتهم على توجيه آراء الجماهير، وإقناع القضاة و صياغة القوانين للمدن الناشئة، و تأهيل الأفراد

للمناصب العامة، غير أن هذه الممارسات رغم فاعليتها أثارت انتقادات خصومهم مثل أفلاطون الذين وصفوهم بتجار الكلام و اتهموهم باستغلال الجدل لتحقيق مكاسب مادية أو نفوذ اجتماعي مع ذلك يظل اسهامهم جوهريا في تأسيس فن الخطابة و فلسفة اللغة الإقناعية. و لا أدل على ذلك جهود بروديكيوس دوسيوس (Prodicos de Céos) و هو أحد أشهر السفسطائيين، كان ينتقل عبر المدن لإعطاء الدروس يقول يقول عنه جان فوالكان(Jean Voilquin): "كان يطلب خمسين دراخمة للدرس الكامل عن ملاءمة المصطلحات في الأسلوب، و دراخمة واحدة للدروس المعدة للإستخدام الشعبي العام لم يكن عالما و لا فيلسوفا، لقد اكتفى بأن يكون بارعا في فن الكلام عن معرفة في الكثير من المواضيع لا لقد اتخذت تخصصا في مسائل المفردات و النحو، و هي جزء مهم من البلاغة التي كان يعلمها". أيضا يدعم هذا الموقف قول روبان (Robin): "كان مشروعهم تسليح التلميذ لمواجهة كل الصراعات الفكرية، أو الأحداث التي يمكن أن تحدث في الحياة الإجتماعية فكان منهجهم أساسا هو تناقض الأفكار و معارضة الأطروحات المحتملة و المتعلقة ببعض المواضيع، أو الفرضيات المعرفة و المصنفة كما ينبغي لقد كان الهدف هو تعليم كيفية النقد و المناقشة و ترتيب المناظرة بين العقول". و في جميع الحالات فإننا نشارك روبان و نؤيد رأيه في أن سفسطائية القرن الخامس كانت لهم جهود فكرية مستقلة لمواجهة حاجات متشابهة (Identiques) عبر آليات متقاربة (Analogues) فرضتها تحولات الزمان و المكان، حبث أصبح لكل مواطن دور في إدارة الشؤون العام لكن مشاركته الفاعلة تطلبت اتقان الفن الخطابي (الكلام) و هنا برزت الحاجة إلى المعلم المرشد الذي يزود الأفراد بمهارات عملية عالية تجنبهم مخاطر التجربة و الخطأ و تحقق لهم التفوق في الحياة العامة و بهذا نجد أن السفسطائيون لم يكونوا مجرد منظرين بل مربين عمليين قدموا أنفسهم كخبراء في فن النصيحة الإجتماعية مركزين على تدريب المواطنين على إدارة العلاقات العامة، و صياغة الخطابات المؤثرة. و بينما انتقدهم خصومهم لتركيزهم على النفعية و النجاح بدلا من الحقيقة المطلقة يعتبرون روادا مهمين في فهم و ربط الفلسفة

بالواقع اليومي و كان مبررهم على الانتقادات المعروضة إليهم هي حاجة المواطن إلى التعلم للنجاح في حياته الخاصة و العامة لذلك يمثل السفسطائيون حركة فلسفية و اجتماعية فريدة برزت في القرن الخامس قبل الميلاد تميز روادها بالكفاءة اللغوية و الاستثنائية و الخبرة الجدلية، حتى اشتقت اسمهم من مصطلح الحكيم الخبير (Sophistés) الذي يعبر عن اتقانهم لفنون الخطاب و أساليب الإقناع لعبوا دورا محوريا في تطوير البلاغة التواصلية داخل الحياة الفكرية اليونانية، حيث حولوا النقاشات الفلسفية إلى فضاءات لغوية "توليدية" تنتج أفكار جيدة، مما أسهم في:

- ترسيخ الاهتمام بالآليات الحجاجية و الإقناعية ، كاستعارة و القياس

البلاغي.

- تكوين نواة للمعارف التي أثرت في الدراسات الفلسفية القديمة و الحديثة،

خاصة في علاقة اللغة بالسلطة و المعرفة.

ارتبطت شهرتهم باستخدام سلطة الكلام في فضاءات السلطة السياسية (كالمحاكم و

المجالس التشريعية) حيث مارسوا نوعين من الحجاج:

1. حجاج موضوعاتي: يناقش قضايا فلسفية و قيمية محددة.

2. حجاج منهجي: ينظر لآلية الحجاج ذاتها مفككا العلاقة بين اللغة و المعرفة و القيم

في السياق الاجتماعي.

بهذا شكلوا جسرا بين الخطاب النظري و الممارسة العملية، رغم انتقادات خصومهم التي

ركزت على نزعتهم النفعية و تجارتهم بالمعرفة، إلا أن إرثهم يظل حيويا في فهم دور اللغة

كأداة لتشكيل الواقع الاجتماعي و السياسي كما انصب اهتمام السفسطائيين على دراسة بنية

الكلمة و آليات تغيير مواقف الآخرين معتمدين على خبرة عميقة في فهم طبائع الناس و

اختلاف السياقات الخطابية و قد وظفوا آليات لغوية مرنة تتناسب مع الأهداف التواصلية و

الظروف الاجتماعية، مما فرض عليهم تبني مناهج حجاجية متنوعة، كما يتجلى في أعمال

أفلاطون (محاورة فيدروس Phèdre) و أرسطو في مصنفاته حول الخطابة. كما تميزوا

بتركيزهم على البلاغة الخطابية و تحويلها إلى حرفة يدرسونها للنخب و الراغبين في التأثير الاجتماعي. وقد رأوا أن بناء المدينة و تحضرها يعتمدان على قوة الخطابة و فنون الإقناع. كما قد طوروا فن الجدل كأداة للدفاع عن الحقوق الفردية في المحاكم و المجالس العامة. حيث ربطوا كذلك اللغة بالواقع الاجتماعي و قدموا تعليمًا عمليًا ساعد المواطن اليوناني على النجاح في الحياة العامة، كما يتضح في منهج سقراط الذي طور الحوار الجدلي كأسلوب فلسفي جديد و هذا ما سنوضحه في العنصر الآتي: (محمد ، 2022، ص 36،37).

الحجاج في عصر سقراط Socrate:

لم يرفض سقراط البلاغة كلياً، بل سعى إلى توسيع نطاقها من خلال دمجها بمنهجية البحث عن الحقيقة، ففي محاورة فيدروس Phaedrus التي تعد نصاً محورياً لفهم فلسفته يوضح أن وظيفة البلاغة لا تقتصر على الخطابات العامة في المحاكم أو المجالس السياسية بل تشمل أيضاً الحوارات الخاصة التي تهدف إلى التأثير في النفوس" كما أعطى بعد ذلك لفيدر درسا في المنهجية، لقد شرح لصديقه الشاب أنه إلى ذلك الوقت لم يستخدم الخطباء سوى تقنيات غير متقنة و قد اقترح بداية نهجين من المفيد أن يتيح لنا الفن اكتساب قوتها. و المقصود هنا هو: " أولاً، التوليف الذي يسمح بتجميع عناصر مشتتة في كل الجهات صوب شكل واحد و ثانياً التقسيم (التحليل)، الذي يسمح بعملية معاكسة و هي تقسيم العناصر باتباع ترابطها الطبيعي، و يبذل ما في الوسع لعدم كسر أي جزء خلافاً لما يفعل الجزار السيء الذي يقطع قرباناً. و من يتبع هذه الطرق سيسمى "جدلياً" و بعد ذلك اقترح سقراط أن يتم إكمال هذا المنهج من خلال معرفة الجمهور المراد و من يتبع هذه الطرق سيسمى "جدلياً" و بعد ذلك اقترح سقراط أن يتم إكمال هذا المنهج من خلال معرفة الجمهور المراد إقناعه". (فيليب، 2011، ص 25).

عند أفلاطون:

يعتبر أفلاطون أهم تلامذة سقراط، صاحب المذهب الفلسفي المثالي الموضوعي، حيث كانت له مواقف و وجهة نظر في إثراء البحث البلاغي تبين ذلك من خلال كتابه الأول)

جورجياس) بين أفلاطون معارضته للخطابة و انتقاده لها، و اعتبرها أداة لتضليل الجماهير بدلا من إرشادهم فحسب رأيه تعتمد الخطابة على الآراء الشائعة التي تتشكل عبر العادات الاجتماعية و تتأثر بأهواء الأفراد و اختلاف طبقاتهم مما يجعلها عاجزة عن بلوغ الحقيقة الموضوعية، كما يربط أفلاطون بين الخطابة و المجلس العامة كالمحاكم و الاحتفالات حيث تستغل لإثارة المشاعر عبر الاقناع لا عب إثراء الفهم، و يوجه سهام نقده تحديدا نحو السفساطانيين الذين حولوا الخطابة إلى وسيلة لنشر الأفكار المغلوطة عبر التلاعب اللفظي و أطلق عليها صفة الفن الزائف، كما يرى أن البلاغة تتخذ طابعا أو جمهوريا فيفرض الاقناع على الجمهور فرضا و لهذا قام أفلاطون باستبعادها من ميدان العلم و المعرفة، و وصفها بأنها بلاغة و قد امتد هذه ليشمل السفسطانيين حيث يرى أنهم يتمتعون بسلطة تافهة.

و السبب الرئيسي في إقصاء أفلاطون للبلاغة هو رؤيته الفلسفية للعالم، فالبنسبة إليه العالم الحقيقي هو عالم المثل، و كل ما عدا ذلك يعتبر مزيف زدو محاكاة للعالم المثل، و البلاغة الحقيقية هي الفلسفة ليطور فيما بعد أنموذجا فلسفيا الذي يجيب عن الأسئلة التي تطرحها البلاغة تحت علم جديد " الميتافيزيقا" و رغم تشدده نحو البلاغة إلا أنه يقر بوجودها في المجتمع نظرا لأهميتها و دورها الكبير في توجيه الجمهور و التأثير عليه. أما في كتابه (فيدر) قدم تمودجا جديدا قائما على أساس وجود متخاطبين متحاورين، و مقياس الحكم هو الحقيقة. (نور الدين، 2016، ص ص 29، 30).

و الجدل الأفلاطوني هو أسلوب و فن الحوار أو المناقشة ينشأ منه الانتقال من الاحساسات إلى عالم المثل الميتافيزيقي، حيث اتخذ أفلاطون الجدل عند يهتم بالسؤال و لم يكتف فقط بالأسئلة بل استند كذلك على الأمثلة الواقعية أو الافتراضية بالاضافة إلى الشاهد الشعري، و الجدل أنه يولد المعرفة لدى الأشخاص و تزال الغشاوة في عقولهم، حيث كان سقراط في مرحلة التوليد يقوم بإعادة بناء المعرفة بعد إزالة آثار المعرفة التي خلفها السفسطانيين و هي بطبيعة الحال مزيفة، حيث يوجه الأسئلة لتوليد المعارف حتى يصل فيما بعد للحقيقة

المتوخاة و التوليد بالنسبة له كامن في أعماق الروح. و الجدل ما هو إلا وسيلة لإيقاظ الروح ليتذكر الإنسان ما اكتسبه من العالم الآخر (عالم المثل). كان سقراط و أفلاطون مهتمين بالقول الحجاجي، من أجل تخليص المعارف من التزييف و المغالطات. (المطفى، 2024، ص 09، 10).

كما ركز أفلاطون على الاهتمام بنفسية الجمهور و حذر من التلاعب العاطفي الفارغ، و التركيز على تقديم الحقائق المعززة بالحجج المنطقية و في هذا الصدد يقول: " كما أن الطبيب يهتم بطبيعة الجسم، كذلك يجب على الخطيب أن يهتم بطبيعة النفس فيعرف حالاتها المختلفة و انفعالاتها المتغيرة و الطرق العديدة للتأثير عليها و الأوقات التي تستجيب فيها للتأثير ". (محمد، 1966، ص 180).

الحجاج عند أرسطو: لقد كان الخطباء و البلغاء قبل أرسطو مدركين العناصر الفنية التي تكلم عنها، لكنهم لم يضعوا تلك العناصر في قواعد عامة يسهل تعلمها و في عرضهن فكرة الخطابة كما يعبر عن ذلك "توروت" كهؤلاء الذين أرادوا أن يعلموا غيرهم صناعة الأحذية، فبدلاً من أن يفصلوا أجزاءها كانوا يكتفون بعرض الأحذية أمام المتعلمين و كان ليون سبنجل هو أول من أوقفنا على نظرية أرسطو في الفن في رسالته " دراسات في أرسطو" التي قدمها إلى جامعة باريس سنة 1828 فقدراتهم بتحديد الفروق بين نظرة الفلاسفة و نظرة أرسطو للخطابة، فالخطباء خلطوا بي الخطابة و الفلسفة، أما أرسطو فقد عنى بتحديد الفروق لكل من موضوعهما، إن فلسفة علم أما الخطابة فهي خطة و منهج يتبعان صاحبهما و هدف الخطابة الإقناع. (أرسطو، 1950، ص 36). و بذلك عد أرسطو الخطابة فنا إقناعياً بامتياز هدفه التأثير و الإقناع، و حدد في ذلك أصناف الخطابة (خطابة قضائية، خطابة استشارية، خطابة محلفية).

يعد الجدل الأرسطي أسلوباً حجاجياً و هو جنس تخاطبي، يقوم ببناء القول الحجاجي على طرفين، الطرف الأول السائل، و الطرف الثاني المجيب أي تلازم بين السؤال و الجواب، و

يعد السائل هو الأهم في عملية الجدل، فيرسم حركة الحجاج عن طريق تنظيم الأسئلة. (قعموسي، 2018، ص 36).

المقومات الحجاجية الأرسطية:

1 حجج الباث: يجب في هذه الحجج أو ما يعرف بالآيتوس، أن يكون الخطيب له قبول عاطفي من طرف المتلقي أثناء عملية التخاطب، كما بين أرسطو أن على الخطيب أن يتصف بصفة الفضيلة و لا يكون شريرا أو يتصف بالكراهية حتي يستطيع إبداء رأيه و نصائحه للمتلقين، و نجد هذا المقوم الحجاجي في الخطابة الاستشارية.

2 حجج المتلقي: المقصود به ميول و رغبات المتلقي أو ما يعرف بالباتوس و الغاية المتوخاة في هذا البعد هو التأثير على هذا الطرف، فبعث البلاغة دون الاهتمام و مراعاة الأبعاد السيكلوجية و النفسية و الثقافية و الإيديولوجية للمتلقي عمل في غاية التقصير.

3 حجج الخطاب نفسه: أو ما يعرف باللوغوس و هي ثلاثة أنواع القياس المضمر و المقارنة أو الشاهد و التخييم و يقول أرسطو في هذا الصدد: "إنني أسمى المضمر قياسا خطابيا" و أسمى الشاهد استقراء خطابيا، كل الناس يبرهنون على إثبات ما إما بالشاهد أو بالمضمر، و لا يوجد غيرهما لأجل هذه الغاية". (محمد، 2020، ص 84).

عند العرب: لمصطلح الحجاج جذور ضاربة في التاريخ إذ إن أول ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند أفلاطون و أرسطو ثم ظهر في الدراسات المعاصرة، و كان الدارسون العرب قديما و حديثا قد تنبهوا لهذا النمط الخطابي في مؤلفاتهم و دراساتهم و أولوا اهتماما بليغا به حيث نجد الجاحظ و هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني المصري ولد عام (150هـ-767م/255هـ-867م) حيث يتفق الباحثون على أن الجاحظ أولى عناية خاصة للبعد الحجاجي الإقناعي في مؤلفاته لاسيما كتابه "البيان و التبیین"، الذي سعى من خلاله إلى تأسيس بلاغة قائمة على فن الإقناع و في هذا الصدد يشير محمد العمري إلى أن تحليل

استراتيجيات "البيان" عند الجاحظ اللغوي و الشفوي كأداة محورية فمن يطلع على فصول الكتاب يلاحظ ان الجاحظ خصص مساحات واسعة لموضوع الحجاج، حيث عمد في فصل "البلاغة" إلى توضيح هذا المفهوم مستندا إلى نص من الثقافة الهندية يحدد مواصفات الخطيب الفذ (محمد، 2021، ص)، قائلا: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليق التلفت، متخير اللفظ لا يكلم السادة بكلام العبيد، ولا الملوك بكلام السوق، و يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، و لا يدقق المعاني تدقيقا..." (الجاحظ، 1988، ص 98) يبرز هذا النص أن جوهر مشروع الجاحظ يتمحور حول بناء خطاب إقناعي شفوي، تحدد غايته (وهي الإقناع) طبيعة الوسيلة المستخدمة (اللغة) و شكلها، وفقا للسياق الاجتماعي للجمهور، فلكل طبقة لغتها الخاصة فالخطيب الناجح هو من يحسن توظيف هذه المرونة اللغوية لتحقيق التأثير المطلوب، دون الإفراط في التعقيد أو التكلف، كما يبرز الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين" ارتباط البلاغة بالمقامات و الأحوال، مستشهدا بنماذج من الخطابات العربية، سواء في الشعر أو النثر، حيث يعامل كل جنس خطابي (كالشعر، الخطبة، الحكمة) بوصفه نظاما إقناعيا مستقلا، مع احتفاظ كل جنس بخصائصه الشكلية و الدلالية فالخطاب الإقناعي عنده لم يكن مقتصرا على جنس في حد ذاته، كما أنه قدم تعريفا للبيان حيث قال: " و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يغ السامع على حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الوضع" . ويعد البيان في جميع الحالات هو البلاغة و الحجاج، حيث ربط الجاحظ البيان بالحجاج من القرآن الكريم ممثلا ذلك بقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون يقول الجاحظ: " و سأل الله موسى عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته و الإبانة عن حجته و الإفصاح عن أدلته".

يتضح لنا مما سبق أو وظيفة الخطاب ليست الإبلاغ فقط بل كذلك الحجاج من أجل الإقناع فمفهوم البيان يقتصر على وظيفته الأولى: إفهامية متصلة بعناصر المقام و خصائصه أما الثانية فهي حجاجية إقناعية تقوم على الفصاحة و قوة الحجة و إحكامها.

النموذج الحجاجي عند السكاكي: يرتبط الحجاج عند السكاكي بالاستدلال الذي تحدث عنه في كتابه مفتاح العلوم، و قد سعى السكاكي ضمن مفتاحه إلى ربط البلاغة بالمنطق وذلك عن طريق الاستدلال ليكون المفتاح بذلك نموذجا لبلاغة عربية معضودة بالمنطق. (نور الدين، 2016، ص392).

لقد خصص السكاكي فصلا في كتابه مفتاح العلوم عن علم الاستدلال أو علم " خواص التراكيب الكلام " حيث عرفه أنه اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ، أو نفيه عنه بواسطة تركيب مجمل. فالاستدلال يقوم على اسناد الخبر للمبتدأ حيث يتم النفي أو الإثبات، يقول السكاكي: " و قولي بواسطة تركيب الجمل تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسموا الجملة الواحدة حجة و استدلالا، مع اكتساب إثبات و نفي بوساطتها" ومن هنا يتجلى الطابع الحجاجي للاستدلال. (السكاكي، دس، ص 544، 548).

اهتم السكاكي بعلم المعاني باعتباره أنه يخدم النحو و الاستدلال فهو يرى أن كلا الطرفين علم النحو و الاستدلال مكملان و متممان لعلم المعاني. و قد ركز السكاكي في حديثه عن علم المعاني على ما يعرف بمقتضى الحال فهو ركن مهم لهذا العلم. تعرف البلاغة أنها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " (محمد، دس، ص 19) . و هو الركيزة الأساسية لفعالية الخطاب البلاغي، حيث أكد أن نجاعة الخطاب الإقناعي وفعاليته ترتبط ارتباطا وثيقا بمدى ملاءمته للسياق و الظروف المحيطة، و بناءا على ذلك تتنوع الخطابات و تختلف تبعا لاختلاف المقامات و السياقات، مثلا التباين بين مقام الشكر و مقام الشكوى، أو بين مقام التهنية و التعزية أو بين المدح و الذم، كما يختلف الخطاب المبني على السؤال عن ذلك الموجه نحو الإنكار، ويشير السكاكي إلى أن تفاوت المقامات هو ما يحدد طبيعة الكلام و هدفه مما يجعل البلاغة فنا قائما على فهم دقيق لتنوع الحالات و اختلافها، يقول السكاكي:

لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، و مقام التهنية يباين مقام التعزية، و مقام المدح يباين مقام الذم... و مقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الإنكار". و من هنا تبرز بلاغة السكاكي المقامية التي أساسها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، أي لكل مقام مقال (السكاكي، دس، ص 256). كذلك يؤكد السكاكي أن المقام لا يهتم بالموقف الخارجي فقط، بل أيضا يهتم بالبنية الداخلية أي المكونات اللغوية (عبد اللطيف، ص 76)، فالمقام دور فعال في الخطاب كما هو الحال عند بيرمان و الدراسات التداولية الحديثة حيث يقول محمد العمري في هذا الشأن: " و قد فسر المحدثون العودة بقوة إلى نظرية الإقناع حسب المقامات و الأحوال التي يجمعها حاليا البحث التداولي بهيمنة النسبية على الحياة الحديثة في الغرب التي تتجلى ضمن ما تتجلى فيه في الاحتكام إلى الرأي العام، و سلوك أساليب الاستمالة كما هو الحال في الإشهار (محمد، ص 138). اهتم السكاكي بمراعاة مقتضى الحال و المخاطب كأركان أساسية في العملية التخاطبية، معتبرا أن قيمة الكلام تتبع في ملاءمته لحالة المتلقي، فقسم الكلام إلى خبري (إخباري) و طليبي (توجيهي)، و فقا لهدف المتكلم و حال المخاطب، فالخبر يقدم بشكل متفاوت بحسب وعي المخاطب بالموضوع، كإرسال الخبر الابتدائي لذهن خال من معرفة أما الطلب فيتتبع بين أمر و نهي و تصديق و غيرها، مراعيًا وضعيته المخاطب النفسية و الذهنية، و هكذا ربط السكاكي بين فعالية الخطاب و قدرته على التكيف مع سياقات المخاطبين المختلفة، مما جعل البلاغة عنده فنا قائما على مرونة التعبير و استجابته لتنوع الأحوال.

مقاربة طه عبد الرحمان لمفهوم الحجاج:

يؤكد طه عبد الرحمان أن المجتمع المسلم يواجه تحديات معنوية لاتقل خطورة عن التحديات المادية، حيث يرى أن أبرز هذه التحديات المعنوية يتمثل في ارتباك فكري عميق، أشبه ب " فتنة مفاهيمية" يعجز المسلم عن تجاوزها فهويته في متاهات مفاهيم مستوردة تنتجها الحضارات الأخرى التي تتكاثر بلا توقف، في ظل عجزه عن استيعابها أو تفنيدها، نظرا لافتقاده آليات تمكنه من إبداع مفاهيمه الذاتية أو إعادة صياغة المفاهيم الوافدة بشكل

إبداع (عبد الرحمان، 2006، ص 11) . يرى طه عبد الرحمان أن مواجهة تحديات الحداثة الفكرية تتطلب من المجتمع الاسلامي تطوير آليات إبداع مفاهيمية ذاتية، تمكنه في مجابهة الأسئلة المتدفقة للحداثة الغربية التي تغرق الفكر في التبعية الفكرية و العجز عن المواجهة. فالمسلم حسب رؤيته مطالب بأن يتحول إلى فيلسوف في الحوار الفكري، قادر على تفكيك إشكالات الحداثة و التفاعل معها عبر قراءة متجددة تستند إلى مرجعيته الحضارية، مستفيدا من تراثه و هويته و يعرف عبد الرحمان الحداثة الحقيقية بأنها ليست تقليدا للغرب، بل هي " قدرة الأمة على تحمل مسؤوليات عصرها" عبر القيام بالتزاماته و تحقيق إنسانية الإنسان .

عبد الرحمان، 2007، ص 20). و لتحقيق ذلك يقترح منهاجا حجاجيا يقوم على أمرين :

1. إبداع المفاهيم المماثلة أو المتفوقة: و ذلك بتشغيل آليات الحجاج العقلي لإنتاج

أفكار تضاهي إبداعات الغرب و تتفوق عليها عبر أشكال حجاجية غير مقتصرة على النمط الغربي.

2. تفعيل الاستشكال الذاتي: عن طريق طرح الأسئلة النابعة من الخصوصية الثقافية

و التراثية بعيدا عن التبعية الفكرية. (عبد الرحمان، 2013، ص 22) و يؤكد عبد الرحمان

أن الحداثة بهذا المعنى تعني " حيازة القدرة على الإبداع" من داخل الهوية الثقافية

الإسلامية، لذلك يدعو إلى تأسيس فلسفة عربية إسلامية مميزة تعتمد الحجاج (

بآلتي الاعتراض الادعاء) كأداة لتحديد الخطاب الفلسفي من التبعية للغرب عبر

تعريب الفلسفة و بناء مفاهيم عربية خالصة.

يطور طه عبد الرحمان مفهوم "الحجاج" ليكون آلية فلسفية مرنة تؤدي دورين متكاملين:

❖ دور نقدي هادم (الاعتراض الفلسفي): حيث يعمل الحجاج كأداة لتفكيك

الخطاب الحداثي الغربي عبر مواجهة الحجة بالحجة، و رفض التبعية

الفكرية و هو هنا بحسب تعريف عبد الرحمان " خطاب موجه للغير

لإفهامه دعوى قابلة للاعتراض عليها". (عبد الرحمان، 2006، ص 226).

❖ دور ابداعي بناء (الادعاء الفلسفي): فيتحول الحجاج إلى فعالية تداولية

جدلية تهدف إلى تمكين العقل العربي من انتاج مفاهيم ذاتية عبر تفاعل

حيوي مع الواقع و مراعاة السياقات الإجتماعية و يوضح عبد الرحمان

أن الحجاج في هذا المقام ليس محصورا في الأشكال البرهانية التقليدية)

القائمة على القضايا المجردة)، بل يتسع ليشمل:

-استدلالات مركبة: تجمع بين الصور المنطقية و المضامين الواقعية.

-إشارات ضمنية: تعتمد على الخلفية المشتركة بين المتحاورين.

-تراتبية تفاضلية: تسمح بالتعامل مع التناقضات الظاهرية دون الخروج عن إطار

العقلانية و هكذا يصبح الحجاج أداة لتجديد المعرفة و اللغة و قراءة العصر، عبر تفجير

الطاقات الإبداعية المكبوتة في الوعي الإسلامي، و مواجهة تحديات الحداثة بآليات مرنة

تستوعب التحولات الزمنية دون التفريط في الهوية.

النموذج الحجاجي عند أبو بكر العزاوي: و هو مفكر لغوي مغربي حيث ارتبط به الدرس

الحجاجي اللساني ارتباطا و ثيقا، مؤكدا في مؤلفاته أن اللغة تحمل في جوهرها وظيفة

حجاجية قصد التأثير و الاقناع و ينطلق في مبدأ يقول: " لا تواصل من غير حجاج و لا

حجاج من غير تواصل" (أبو بكر، 2010، ص 13). حيث قدم تعريف للحجاج يقول: " هو تقديم

مجموعة من الحجج و الأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة و الغاية المتوخاة ". بينما يعرف

الحجاج اللغوي بقوله: " هو منطق التي تتجز بالغة الطبيعية بمختلف أنواعها و أنماطها".

" (أبو بكر، 2006، ص 19، 09).

حيث يؤكد العزاوي بأن دراسة الحجاج تسعى إلى معرفة القواعد الجوهرية للخطاب و التي

بدورها تتحكم في تسلسل الأقوال و الجمل و تقوم بمتابعتها بشكل متتالي و تدريجي، و هنا

نجد أن الحجاج موجود في جميع أنواع الخطابات و النصوص بأنواعها سواءا كان في

الخطبة الدينية أو القصائد الشعرية أو المحاوراة اليومية و الخطابات السياسية و المناظرات و

مناقشة الأطروحات الجامعية و غيرها من النصوص و الخطابات التي يكون فيها الحجاج

حاضر بقوة، نجد إذن الحجاج هو تقديم الحجج و البراهين التي من شأنها توصلنا إلى نتيجة معينة، يؤكد أبو بكر العزاوي على فكرة تراتبية الحجج أي أن تلك الحجج تختلف و تتفاوت نسبة قوتها، و هذه التراتبية ميزة مهمة للخطاب الحجاجي عل خلاف المنطق البرهاني حيث نجد فيه الحجج متساوية فيما بينها، يقول أبو بكر العزاوي في كتابه الحجاج و الخطاب: " فهناك من الحجج القوية و من الحجج الأكثر ضعفا".

كما بين لنا أبو العزاوي الروابط الحجاجية في اللغة العربية و هي كثيرة و متنوعة نجد منها: بل لكن، لكن، لاسيما،حتى، الآن، بما، أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي...، لكن أبو بكر العزاوي خصص في دراسته فقط على الرابط بل و لكن، هذا يعود إلى كثرة استخداماتها قس الخطابات و الحوارات اليومية، حيث قدم لنا مثال استعمال "لكن" نذكر منها: " ألا إن وعد الله حق و لكن أكثرهم لا يعلمون ".

ثانيا: مفاهيم قريبة من الحجاج الفلسفي:

الخطاب: يرى ابن منظور أن الحجاج يأتي من المخاطبة، حيث أنه يعرفها بقوله: "مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا، و هم يتخاطبان" و يقول أبو منصور: " إن الخطبة مصدر الخطب لا يجوز إلا على وجه واحد، و هو أم الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر . (ابن منظور، 1119، ص 1221) و هو شكل تواصل يعتمد على الكلام المسموع و ما هو منطوق يتكون من عبارات مترابطة تدور حول فكرة رئيسية واحدة، موجه إلى جمهور معين و يؤدي لمقصد معين أو إحداث تأثير معين.

النص: اختلفت تعريفات النص حسب الفلاسفة سواء في الثقافة العربية أو الغربية، حيث نجد طه عبد الرحمان يعرفه بقوله: " بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، قد ترتبط هذه العلاقات بين جملتين أو أكثر". أما في الثقافة الغربية فقد عرف بأنه " سلسلة من الكلمات، تؤلف تعبيراً حقيقياً في اللغة ". (محمد، دس، ص ص 02،03)

اللسانيات " علم اللغة": مؤسسها الفيلسوف ويتي و سوسور وترو بتسكوي و هي تعتمد اللغة مادة لها حيث أنها تهتم بالدراسة الوصفية و التفسيرية لبنية اللغة و وظائفها و أول من

أصناف صفة العلمية على اللسانيات هو الأمريكي ويتني و اللغة عنده ليست واقعة بيولوجية تعود إلى العلوم الطبيعية بل هي واقعة اجتماعية. (وائل، 1996، ص 24).

علم الدلالة: هو أحد فروع علم اللغة أو اللسانيات أو اللغويات و هو يبحث في المعنى الذي هو الوظيفة الرئيسية للغة، و يسمى أيضا " علم المعنى " و ليس معنى الكلمات فقط بل أيضا الجمل، كما يهتم أيضا بمدلول الكلمات فقط بل أيضا الجمل، كما يهتم أيضا بمدلول الكلمات أي علاقة الدال بالمدلول. (محمد، 2001، ص 11).

السيمياء: " علم العلامات " فهو يدرس الإشارات ، الطقوس، الرموز، الأمارات... و كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيمانيات فكل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل علامات تخبر عن هذه الثقافة، فالضحك و البكاء و الفرح و اللباس و إشارات المرور و الطقوس الاجتماعية كلها علامات تعقيد " كما أن السيميانيات أصبحت تهتم بالأنساق التواصلية التي يستخدمها الإنسان في خلق مع غيره موضوعا لها. (سعيد، 2012، ص 29).

التداولية: يقول فان دايك إن صياغة القواعد التداولية من علم النحو تعني أن مثل هذا النحو ينبغي أن يفسر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات الصحيحة بل القدرة على استخدام مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية استخداما مطابقا... " و المقصود بهذا القول هو كيفية استخدام اللغة في الأفعال التواصلية أي استخدام اللغة كما يجري تداولها في الواقع (صابر، 2011، ص 72).

علم البلاغة: فرع من فروع اللسانيات يهتم بالبلاغة و هي تعني فصاحة الأسلوب حيث يعرفها القزويني بقوله: " و أما بلاغة الكلام متفاوتة، فمقام التذكير يباين مقام التعريف و مقام الاطلاق يباين مقام التقييد إلى غير ذلك ". (بن عسلة، دس، ص 47).

الاستراتيجية الحجاجية: هي خطة منهجية منطقية تحدد المراحل و الوسائل من أجل تحقيق أهداف معينة و تأخذ أشكالا مختلفة إما دفاعا عن الموقف أو نقصا لطرف آخر كما قد تكون استراتيجية للاجراج.

الإيتوس، الباتوس، اللوغوس: هي مصطلحات يونانية ظهرت قديما في اليونان مع أرسطو في كتابه " الخطابة" فلكل منها دلالاته المختلفة و لكن جميعهم يتعلقون بالخطابة فالإيتوس هو المؤلف أو المتكلم ذو مكانة و سلطة أما الباتوس فهو المتلقي أو الجمهور الذي يتجه نحوه الخطاب، بينما اللوغوس فهي الرسالة التي يتضمنها الخطاب. نجد أن الإيتوس يحتل مكانة مميزة في الدراسات الحجاجية الغربية و بالتحديد في خطابة أرسطو التي لا تقوم إلا على قوة الخطيب و دوره في استمالة و اقناع المتلقي و إثارة عواطفه كما أن اللوغوس نال دور مهم و فعال في العملية الخطابية بجانب الإيتوس في الدراسات الحجاجية الغربية من أرسطو حتى اليوم فقد اهتم أرسطو باللوغوس فهو ركن أساسي من أركان العملية الخطابية بل يراه منطلق عملية الإقناع فالإقناع يحدث عن الكلام نفسه، و لا يمكن إنكار دور الباتوس بجانب الإيتوس و اللوغوس في بناء الفعل الحجاجي فمقومات الإيتوسو اللوغوس لا تكتسب أهميتها إلا عندما تجد الصدى المناسب في الباتوس، فما غاية قوة الخطاب و نصاعة الصورة الذاتية للمتكلم في غياب المتلقي.

ثالثا: تاريخ تطورالحجاج الفلسفي: موجود في أي خطاب لكن كحجاج فلسفي عند الفلاسفة ما قبل و عند و بعد أرسطو و سنتبع ظهوره في الفلسفة كما يلي:

ما قبل أرسطو: تشير الأبحاث إلى ظهور السفسطة و الخطابة كان متلازما في اليونان القديمة حيث تعتبر السفسطة المنبت الأصلي للخطابة التي تفرعت عنها. (رشيد، 2008،

ص129). و قد ساهمت تحولات سياسية و اجتماعية في القرن الخامس قبل الميلاد خاصة

تحت حكم الطغاة هيرون و جيلون في نشأة حركة ديمقراطية أطاحت بالأنظمة الاستبدادية

هنا برز دور الخطباء الذين دافعوا عن حقوق الناس في المحاكم الشعبية، مستخدمين فن

الإقناع كأداة ديمقراطية لتحقيق العدالة و مصطلح الخطابة ارتبط في بداياته بمفهوم

السفسطة اليونانية، الذي كان يقصد به الحكمة الكلامية القابلة للتعليم و التعلم، قبل أن

يتميز المفهوم لاحقا. (فاطمة، دس، ص 08).

لقد مثل السفسطائيون في اليونان القديمة مدرسة فكرية اعتمدت على الخطابة المتقنة و المرونة في الطرح، حيث ركزوا على الأفكار الذاتية و المواقف بدلا من الحقائق الملموسة، منخرطين في نقاشات شاملة حول قضايا المجتمع "يومية، دينية، فكرية" رغم اعتبار أساليبهم معادية للعقلانية و أن حجاجهم مغالطي من قبل فلاسفة كسقراط و أفلاطون، إلا أنهم اهتمامهم بالبلاغة و الفن الجدلي حفز الفلاسفة على تطوير أدواتهم الحجاجية. و كان للحركة السفسطائية دور كبير في تشكل الفلسفة اليونانية، يقول هشام الريفي (فلسفة أفلاطون تشكلت في جوانب أساسية منها من جهد الإجابة عن معضلات أثارها السفسطائيون في حجاجهم المغالطي و كذا الأمر بالنسبة لأرسطو فقد انبنت فلسفته في الرد عليهم) يعد جورجياس أحد أهم أعلام السفسطائيين إذ يقول "إن الخطابة هي الخير الأعلى حقا، تمنح من يحذقها الحرية في نفسه و السيطرة على غيره من الناس في وطنه... (الخطابة) تحتضن في ذاتها السلطة و تخضعها لهيمنتها. (هشام، دس، ص ص، 51 / 52). كما تصدى فلاسفة مثل سقراط و أفلاطون للفكر السفسطائي عبر حوارات نقدية كشفت تناقضاته معتبرينه تهديدا للقيم الآثنية و العقلانية. ركز أفلاطون متبنيا منهج أستاذه سقراط على تفكيك حجج السفسطائيين في أعمال مثل جورجياس و السوفسطائي و هيبياس الصغير و هيبياس الكبير "بروتاجورس"، مظهرا أن خطاباتهم قائمة على الوهم و النسبية و التضليل و التغليب لا على العلم و الحقيقة التي يدعونها سعى أفلاطون من خلال كتاب المدينة الفاضلة إلى ترسيخ فلسفة عقلية تحرر الخطابة من الانحراف، مؤكدا أن الإقناع الحقيقي يجب أن يعتمد على مبادئ علمية و أخلاقية ثابتة، لا على المصالح الظرفية، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة و ثابتة يكسب الإنسان المعرفة بينما الإقناع القائم على الظن لا يكسب الإنسان معرفة ثابتة. (فاطمة، دس، ص 08).

عند أرسطو: هنا اكتمل مفهوم الحجاج لديه حيث أصبح لحجاج أسس و قواعد يقوم عليها و هذا ما تبين في كتابه "الخطابة" و أولى اهتماما كبيرا بالبلاغة فالإنسان عنده متكلم و يحاول إقناع أكبر عدد من الناس بكلامه، فوظيفة الجدل ليس هي البحث عن الحقيقة بل البحث

في القضايا التي تحتل الشك، كما يرى أن الحجاج يتمثل في الجدل و الخطابة في آن واحد بالاعتماد على الاستدلال و الاستقراء و القياس في الجدل فيتحقق بذلك الإقناع كما للخطابة أيضا دور فعال في عملية الإقناع لا يقل أهمية عن الجدل، فالحجاج عنده إقناع عقلي و تأثير نفسي في آن واحد و عملية الحجاج لا ترتبط لديه بالحمل على الإقناع، ولكن بالتأثير في المتلقي من أجل إقناعه، كما نجد أن خطابة أرسطو قد استمدت فكرة تأثير الخطابة على المتلقي، لكن غير مبنية على المغالطات، كما استمدت من أفلاطون الجدل الذي يقوم على الإقناع العقلي، وبهذا نجد أن خطابة أرسطو مختلفة عن سابقيه كونها مختلفة في الجدل و الخطابة في آن واحد، كما يرى أرسطو أن عناصر الخطابة لها دور في تحقيق عملية الحجاج. (منتصر، دس، ص 54) التي تتمثل في الإيتوس و هو المؤلف أو المتكلم، و اللوغوس هو الرسالة المتضمنة في الخطاب، الباتوس و هو المتلقي أو الجمهور (بن يحيى، 2022، ص 347). فتكامل و ترابط هذه العناصر مع بعض هو ما يصل بالخطاب إلى الإقناع و لا يمكن عزل عنصر عن بقية العناصر الأخرى و هنا يتحقق الحجاج في اجتماع تلك العناصر في آن واحد، و من خلال ربط الحجاج بالخطابة و الجدل، استطاع أرسطو أن يؤسس لهذا المصطلح مع وضع قواعده الصحيحة التي جمعها من خلال الفكر البلاغي اليوناني الذي سبقه و أضاف عليه طابعه الذي يلائمه و أبعد كل ما نادى به سقراط و أفلاطون، فبينما كان أفلاطون يقوم بأبعاد الخطابة عن التأثيرات العامة، فإن أرسطو مقابل ذلك عين لها موقعا أساسيا من الحياة الاجتماعية فقد كانت الخطابة عنده هي الخطاب الموجه للعامة في المحاكم أو في التجمعات الشعبية التشاورية، أو في المحافل العمومية الإحتفالية، و بهذا أصبح للخطابة أنواع و أشكال. (منتصر، دس، ص 54).

ما بعد أرسطو: نجد شيشرون الذي يعرف " الحجة بأنها وسيلة عقلانية تجعلنا نعطي إيمانا بشيء مشكوك فيه و بالتالي الحجاج موجود في كل خطاب غرضه استبعاد الشك الذي ينشأ عن عدم فهمنا لقضية ما و البتالي الانتقال من الشك إلى اليقين.

و في هذه الفترة التي تمثل حالة الركود في عصر النهضة كان اهتمام الباحثين منصبا فقط على الجوانب البلاغية و الأسلوبية و اهمال الجانب الاستدلالي المنطقي للغة. (محمد، 2022، ص 06)

لكن هذا الخفوت للدرس الحجاجي كان موازيا للإزدهار و التطور الحضاري العربي الإسلامي الذي كان منفتحا عل الثقافة اليونانية (ترجمة كتب أرسطو) من طرف الفلاسفة المسلمين و ظهور علم المناظرة و تبقى بذلك البلاغة العربية بلاغة حجاجية مع التطلع على باقي السياقات الفكرية و الفلسفية و الدينية التاريخية، ويتم تطور نظريات الحجاج عندما تنتشر أساليب الاستدراج و أشكال السيطرة الإيديولوجية فمثلا بلاغة أرسطو ردا على السفستائية في الوقت الراهن هناك بعض النظريات تتسم بأسلوب الاستدراج و استمالة الخصم و الإيقاع به أو محاولة إقناعه. يعود ظهور النظريات الأولى للحجاج تقريبا ما بين 440 - 450 ق،م مع كوراكس Corax و تلميذه تيزاس Tisias (فيليب، 2011، ص15) و كما يقول شيشرون الذي يذكر أحد نصوص أرسطو التي فقدت: "لم يعرف قبل ذلك أن أحدا ما قد اعتاد أن يترافع بمنهجية و آلية محددة، حتى و إن البعض يؤدي ذلك ببراعة و دقت" و هذه النظريات تشكلت في سياق تأملات الخطباء في خطاباتهم القضائية لتتحول فيما بعد بما يعرف Techné rhétoriké أي فن البلاغة. (محمد، 2022، ص 08).

مراحل تطور الحجاج الفلسفي:

فترة النضوج: مع أرسطو في كتابه البلاغة و كانت هي المرشد لثقافة الحجاج الحجاج و التي تم انتشارها في بداية الإمبراطورية حث شهدت خطباء و فلاسفة كبار أمثال شيشرون و كنتيليان في تنسيقهم و تعديلهم لمعايير الخطاب الإقناعي، و هذه الفترة تمثل النضج الحقيقي للنظرية الحجاجية، دون أن ننكر دور البلاغة السفستائية، و جهود سقراط في وضعه للمنهج في المناظرة و بعدها المنهج النقدي لأفلاطون حتى غاية أرسطو من خلال منهجه الاستدلالي المنطقي الذي يقوم على العلاقة بين (الخطيب و الرسالة و المتلقي).

فترة الانحطاط: و هي مرحلة التراجع عن الاهتمام بالبلاغة و الخطابة، حيث تمتد من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين حيث تحولت البلاغة إلى نظرية تهتم بالجماليات و المحسنات و الصور الأسلوبية و بهذا فقد الحجاج مكانه تدريجيا.

فترة التجديد: سميت بمرحلة "انبعاث البلاغة الجديدة" خاصة مع الفيلسوف القانوني شايم بيرلمان. في هذه المرحلة حدث انتعاش و عودة للإهتمام باللغة و وظائفها الاجتماعية و التواصلية و بذلك أعيد الحجاج إلى الصدارة من جديد، و ذلك من أجل الحوار و النقاش، فكانت البلاغة الجديدة في ثوب جديد مختلفة عما كانت عليه قديما و كانت هذه المرحلة أكثر تفاعلا من حيث المواضيع المدروسة متعلقة بالمقام ذي هدف إقناعي، كذلك الحجاج عاد في شكل نشاط لغوي حوارى على هيئة الخطاب موجه للناس تؤدي اللغة وظائفها، على خلاف الفترة اليونانية أي سيصبح حجاجا متعدد السياقات و بهذا سيعرف نظريات حجاجية جديدة و مختلفة. (محمد، 2022، ص 11).

أنواع الحجاج الفلسفي:

حجاج تفسيري: ذكر في كتاب الفروق لأبي هلال عسكري مفهوم التفسير كالاتي: " الشرح بيان المشروح و إخرجه من وجه الإشكال إلى التجلي و الظهور " و المقصود من هذا المفهوم هو القيام بخطوات تجعل أطروحة واضحة و مفهومة. أما الحجاج التفسيري هو تبرير أطروحة يهدف إلى الإفهام لا الإقناع أي غرضه تبرير أطروحة أو توضيحها، أو إدراج الخاص ضمن العام أو الانتقال من العام إلى الخاص.

الحجاج الاستقرائي: هو الانتقال من الخاص إلى العام أي أن تجد جزئيات كثيرة داخله تحت معنى كلي أو الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة أو أن تقوم بعملية التعميم من حالات جزئية.

الحجاج الاستنتاجي: هو عملية ذهنية تجعلنا نستخلص نتيجة من مقدمات ضرورية، مفهوم يقوم على قواعد المنطق، أو الانتقال من العام إلى الخاص، كما أنه بدوره يوضح العلاقة بين المقدمات و النتائج اللازمة عنها. (أبو الزهراء، 2008، ص 20 / 24 / 26).

الحجاج البلاغي: هو حجاج يستخدم تقنيات بلاغية و منطقية أي جميع الاستراتيجيات التي يقوم باستعمالها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه، و بهذا نجد أن البلاغة الجديدة ارتبطت بالحجاج، فاستخدمت تقنيات و آليات البلاغة في عملية الإفهام و الإقناع. (جميل، 2014، ص28).

تيارات الحجاج الفلسفي:

الحجاج التداولي: تشغل التداولية حيزا واسعا في الدراسات النقدية المعاصرة، حيث أنها تعتبر أداة لتحليل العلاقة التي تربط بين اللغة و مستخدميها، فاللغة في نظر التداولية خطاب تواصلي وظيفي مهمته الإقناع و التفاعل مع المتلقي، هنا نجد أن الخطاب الإقناعي يتضمن شروط و قواعد التداولية التي تهتم بالقصدية و التأثير و الفعالية. (مثنى، دس، 50).

و قد تعددت تعريفات التداولية في دراسة جوانب السياق Aspects of context التي تشفر كليا في تراكيب اللغة و هي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل، كما تعرف أنها فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم Speaker intentions أو هو دراسة معنى المتكلم Speaker meaning و من هنا كان الأصح في تعريف التداولية هو دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلى المعنى، فالمعنى في تداول اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد. (محمود، 2002، ص 12، 14).

على الرغم من ازدهار التداولية التي تدرس كيفية استخدام اللغة في السياقات المادية و الاجتماعية و اللغوية، إلا أنها لا تزال موضوع جدل بين الباحثين حول تعريفها و مصطلحاتها، و هذا يجعلها تتقاطع مع تخصصات مثل اللسانيات و المنطق و السيميائية و الفلسفة و علم النفس، كما أن التداولية تركز على قيمة الجملة في الاستعمال و الفعالية و التأثير، وليس فقط دلالتها اللغوية حيث تقسم التداولية الجمل إلى تقريرية (يمكننا الحكم عليها بالصدق أو الكذب) و إنشائية (لا تخضع لهذا المعيار) وقد كان صاحب هذا التقسيم

الفيلسوف أوستن كما يرى أن كل قول عمل و لا توجد جمل وصفية بحتة (مثنى، 2015، ص 51) أما المفاهيم الأساسية للحجاج التداولي فهي كالآتي:

أ - وجهة النظر: تبني من خلال الادعاء و الاعتراض في قضية ما، مما يخلق

معنى حجاجيات غالبا ما يكون موضوع شك من قبل المتلقي، لذلك يسعى المرسل إلى إقناع المتلقي بقبول الدعوى المطروحة، لتصبح فيما بعد وجهة نظر المرسل.

ب - القضية: يعتبر الحجاج عبارة عن قضية أو مجموعة قضايا التي يتم فيما بعد الدفاع عنها بحجج و براهين.

ج- العرض: الحجاج في التداولية هو استخدام تقنيات لتبرير القضايا المطروحة من قبل المرسل عبر العرض

د - الاعتراض: يفرض الحجاج وجود معترض على الدعوى أو وجهة نظر مختلفة، فهدف الاعتراض الوصول إلى صدق أو كذب القضية المطروحة ليتم فيما بعد الاقتناع أو عدم الاقتناع بها. (مثنى، 2015، ص 15).

الحجاج اللغوي اللساني: نظرية الحجاج اللساني انطلقت أو انبعثت من عدة نظريات هي: أفعال الكلام و الملفوظية و الحوارية، تعدد الأصوات، فهذه النظريات لها مكانة و أهمية بارزة في الحجاج اللساني:

1 أفعال الكلام: هذه النظرية تلقت اهتماما كبيرا عند علماء العرب و الغرب حيث أن عنج العرب المسلمين يعرفها الجرجاني بقوله الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية و الكلام علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى و صفاته، و يعرفه ابن خلدون بقوله " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المنحرفين في الاعتقادات " (حسن، 1989 ص 15).

أما عند الغرب فهو بعد فرع من فروع التداولية حيث يعتبر أوستين أحد أبرز رواد نظرية الفعل الكلامي، يتجاوزه المنطق الأرسطي من خلال إعادة تنظيم دراسة اللغة الطبيعية في

ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة و قد تأثر أوستين و انتفع بترجمته لكتاب أسس الحساب للعالم جوتلوب فريجة. و بالنزعة الوضعية المنطقية بانجلترا في عملية تحليل اللغة، بالإضافة إلى تأثره بعلماء لسانيين أنثروبولوجيين أمثال بواس و سابيز و وورف حيث توصلو في نتائجهم إلى أن بنية اللغة و بنية الفكر أمر واحد فاللغة ليست مجرد أداة للتخاطب و التواصل فحسب. و إنما تعتبر وسيلة للتأثير و تغيير السلوك الإنساني، و هنا نجد أن الفعل الكلامي عند أوستين يعتبر فعل إنجازي و عمل تطبيقي و فعل تأثيري. (عبد القادر، 1991، ص07).

اعتمد في تصنيفه للأفعال الكلامية على مقصد المتكلم بدرجة كبيرة، حيث وجد هناك تطابق بين ما ينطبق به المتكلم و مقصده من هنا قام بالتفريق بين الأفعال الإنجازية المباشرة و غير المباشرة، كما أنه أعاد النظر في مكونات الفعل الكلامي و قسم الفعل الكلامي إلى أربع افعال فرعية:

- 1-الفعل المنطقي: يمثل مستويات التحليل اللساني.
 - 2-الفعل القضوي: يمثل قضية تتكون من طرفين.
 - 3-الفعل الإنجازي: يعتبر الوحدة العفوية للاتصال اللغوي.
 - 4-الفعل التأثيري: أثر الفعل الإنجازي على المتلقي. (حمدي، 2013، ص102).
- 2 الملفظوية Enonciation: هي فعل الاستخدام الفردي للسان حيث يعرفها بينفينست بقوله: "إن الملفظية هي عملية تشتغيل اللسان عن طريق استخدام فردي، بينما نجد ديكر و أونكومبر يعتبرانها النشاط اللغوي الذي يقوم بممارسته المتكلم أثناء تحدثه أو يمارسه المستمع أثناء استعماله. (قاسم المقداد-1998. ص07).

الحجاج الجدلي: لمفردة جدل (Dialectique) في الموسوعة الشاملة مدلولات عديدة متغيرة فالمفردة في الأصل مشتقة من الإغريقية (Dialegein) المتكونة من (Legein) أي الكلام (Parler) و من السابقة (Dia) التي تستدعي وجود طرفين و سيطتين، تنشأ بينهما

بالكلام علاقة، فتمنحها معنى التبادل و الحوار. و لكنه حوار لا يجري على وجه الافادة و التعليم و التأثير و التسليم بل على وجه المناقشة و الخصومة و الدحض و الاعتراض، فالجدل بهذا المعنى هو فن الخصومة (L'art de la dispute) كما تصوره الإغريق تنظيراً و ممارسة (، كما نجد أن للجدل استعمالات متعددة فقد يستعمل في معنى اللوغوس (logos) الخطاب أو العقل (ladiscours ou la raison) و في معنى المبدأ الجوهري الذي يحدد الواقع و الفكر. (Et dans le sens du principe fondamental qui définit la realite et la pensée)

كما نشأ هذا المصطلح و تبلور منهاجاً في البحث مع "أفلاطون" و تعددت مفاهيم الجدل عبر العصور و اختلفت صورته مع كل مفكر في منطق خاص، و هو معنى المواجهة و الصراع و الاختصاص، كما يظهر لنا أن الجدل يظهر في صورتين: صورة المعرفة الحقيقية و الضرورية و صورة المعرفة الحسية أو الرأي، فأفلاطون يعرف الجدلي أنه الناظر في الأمور الكلية و مدرك الكليات أما الجدلي لدى أرسطو فهو القادر على الكلام في الشيء و ضده، و صوغ القضية و نقيضها إثباتاً و نفياً و دعماً و دحضاً، من هذا الطرح نجد المحاورة الأفلاطونية و المناقشة الجدلية الأرسطية أنموذجين نسعى من خلالهما معرفة خصائص الحجاج الجدلي و قوته على الإقناع، و أفلاطون اقتدى بأستاذه سقراط في اتخاذه الحوار أسلوباً لعرض الأفكار و مناقشتها من بين محاوراته: محاورة بارمنديس، محاورة بوليتيكوس، محاورة السفسطائي وغيرهم، كما نجد أرسطو ميز بين البرهان و الجدل، فالبرهان في رأيه يقوم على مقدمات يقينية بنما الجدل عكس ذلك، فمقدمات الجدل فيها نسبة من الصدق تعظم أو تضعف، و هذا ما يبرر الحاجة إلى إثبات صدقها بنقض المخالف لها، هنا نجد أن الجدل يحتوي على قضايا صادقة و خاطئة و من الخطأ تبدأ عملية الجدل. (عبد الله، دس، ص64).

نستنتج أخيراً أن الحجاج الفلسفي كان و لا يزال أسلوباً يستخدم في النقاشات الفلسفية لإثبات صحة قضية ما أو دحضها بالحجج و الأدلة العقلية و المنطقية، كما له أهمية بارزة تكمن

في كونه أداة أساسية لتحليل الأفكار ، و يعزز بدوره الحوار و التفاعل بين الأفراد و المجتمعات.

الفصل الثاني:

الفصل الثاني: من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة:

تمهيد: عرفت البلاغة الإنسانية تطوراً كبيراً منذ نشأتها في العصور القديمة، حيث كانت جزءاً من الفضاء السياسي و الخطابي السائد و قد مرت البلاغة بمراحل متعددة بدءاً من الخطابة الشفوية مروراً بالانتاج الأدبي، ثم الكتابة و البيان و وصولاً إلى تحليل الأسلوب و الصور البلاغية، و أخيراً إلى دراسة الخطاب الجماعي و التفاعلات الاجتماعية من هنا يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من البلاغة الكلاسيكية و الجديدة (الحديثة) البلاغة الكلاسيكية هي بلاغة بيانية معيارية تعليمية، تهدف إلى تعليم الكتاب و المتحدثين كيفية الكتابة و التعبير بفصاحة، كانت تعتبر أداة للإنتاج الأدبي، حيث تساعد في صياغة الكلام البليغ و تطوير الملكة اللغوية و البيانية.

مع منتصف القرن العشرين، ظهرت البلاغة في ثوب جديد، حيث أصبحت تهتم بتحليل قواعد الخطابات و الأجناس الأدبية، و تصنيف الصور البلاغية و الزخارف البديعية و ذلك باستخدام مناهج لسانية و بنيوية و سيميائية و شعرية معاصرة. لم تقتصر البلاغة الحديثة على دراسة الأساليب و الصور الأدبية، بل امتدت لتشمل تحليل الخطابات الفلسفية و الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية، مع إسهامات بارزة من قبل مفكرين مثل شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيبكا.

كما يمكن الحديث عن بلاغة سيميائية مع رولان بارت و جماعة مؤلفيها الذين اهتموا بدراسة العلامات و الأنظمة السيميائية، سواء أكانت لفظية أم بصرية، ضمن مل يعرف بالسيميائية البصرية، و سنتناول في فصلنا هذا عن مفهوم البلاغيتين و أهم المبادئ و الأسس التي يقومان عليها.

المبحث الأول: البلاغة الكلاسيكية:

تمهيد: تعتبر البلاغة الكلاسيكية فن الاتصال الفعال و الإقناع عبر الكلام، فهي تمتاز بطابعها التعليمي المعياري و البياني، فهدفها الأساسي هو تزويد المبدع أو الكاتب بمجموعة من الأدوات التي تحتاجها في مجال الكتابة الفنية و الجمالية من أجل اكتساب الفصاحة و البلاغة و التأثير على الجماهير و في هذا المبحث سنتحدث عن مفهوم البلاغة الكلاسيكية و نشأتها و أهم الأسس التي تقوم عليها.

أولا مفهوم البلاغة الكلاسيكية:

تعرف نظرية البلاغة الكلاسيكية أو البلاغة بأنها نظرية اتصال إقناعية تبحث في الأساليب التي يستخدمها المتحدثون للتأثير على جمهورهم ثم تشكيل هذه النظرية لأول مرة من قبل أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير و الطالب السابق لأفلاطون، كان أرسطو شخصية مؤثرة في المجتمع العلمي، حيث كتب في العديد من الموضوعات التي لا تزال تناقش حتى يومنا هذا، على الرغم من كل هذه النصوص المكتوبة ببراعة فإن كتاب " البلاغة" الذي قدم النظرية، تم تجميعه بشكل فوضوي من ملاحظات محاضرات أرسطو لدروسه في مدرسته، ومع ذلك لا تزال هذه النظرية تمارس على نطاق واسع حتى اليوم، فهي بدورها اهتمت بدراسة الصور البيانية من تشبيه و استعارة و مجاز و كناية و تشخيص و دراسة على المعاني من خبر و إنشاء، حصر و قصر، و إطناب و مساواة و إيجاز، و استعراض المحسنات البديعية من سجع و جناس و طباق و مقابلة و تورية، و تضمين و تكرار، وغيرها... (Muhd , 2024)

ثانيا: تاريخ و نشأة البلاغة الكلاسيكية: كانت البلاغة قديما في العصر اليوناني و خاصة السوفسطائيين فنا للجدل و تضليل الخصوم معتمدين بذلك على الشكل المنهجي للوصول إلى غاياتهم، فالبلاغة كانت عبارة عن وسيلة استخدمها السفسطائيين لاكتساب الأموال و ذلك مقابل أن يعلموا الناس فنون الخطابة و الحوار و الجدل السياسي كما استخدموا الحجاج المغالطي للتضليل على الناس و التلاعب بأفكارهم نجد من بين هؤلاء حورجياس و

بروتاغوراس اللذان مارسا تدريس فن البلاغة للمجتمع الأثيني آنذاك من أجل التفوق على الخصوم في فن الخطابة و الجدل السياسي و القضائي.

وقد رفض سقراط منهج هؤلاء السفسطائيين المغالطي الذي كان عبارة عن مقدمات خاطئة و نتائج خاطئة و اتخذ فلسفته الأخلاقية سلاحا للوقوف أمام هؤلاء المضللين لأفكار الناس و فضح ألامبيهم اللعينة و التخلص من جدلهم التضليلي.

كما نجد في المقابل أفلاطون الذي رفض طريقة السفسطائيين الجدلية، لأنها عبارة عن خداع و تضليل لعقول الناس و تشكيك أفكارهم و قد ميز أفلاطون بين بلاغتين: الأولى بلاغة سفسطائية نسبية و خادعة (غير حقيقية)، و الثانية بلاغة فلسفية مطلقة و حقيقية

دورها إثبات الحق و نزع الخطأ، وهذا يعني أن موضوع البلاغة الرئيسي هو الحق أي إظهار الحقيقة عن طريق العقل و الحجاج و الحوار و مثال ذلك محاورتي (جورجياس) و (فيدر)، كما نجد البلاغة عند أرسطو عبارة عن خطاب حجاجي هدفه التأثير و الإقناع على الجمهور المتلقي إما إيجابيا أو سلبا يقول أرسطو في هذا الصدد: " و يحصل الإقناع، حين يهيا المستمعون و يستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة أو الألم، و الحب و الكراهية... و الخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح و الراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع". و يتضح لنا مما سبق قوله أن أرسطو هو المؤسس الحقيقي للبلاغة و منطق القيم، وقد ألف ثلاثة كتب مهمة في البلاغة: (فن الشعر Poétikue) و (و فن الخطابة Rhétorikue) و (الحجاج المشتركة Topikues)

يرى أرسطو أن الحجاج يتحقق عبر مجموعة من الرسائل.

إما عبر اللوغوس (الحجاج و الكلام الأدلة) و إما عبر الباتوس (يتعلق بالمخاطب) و إما عبر الإيتوس (قيم أخلاقية يتحلى بها الخطيب).

كما ميز بيم ثلاثة أنواع من الخطاب: الخطاب القضائي: هدفه معرفة الحقيقة من أجل تحقيق العدالة.

و الخطاب الاستشاري: هدفه تحقيق الخير للمصالح العام، و الخطاب البرهاني هدفه تثبيت الجمال أو الدفاع عن قضية أو قيمة أخلاقية ما.

و قد اندمجت البلاغة مع الفلسفة و الأخلاق و السياسة و الجدل حتى استقلت بنفسها و أصبحت علما قائما بذاته، من هنا نجد أن أول انطلاقة أو نشأة للبلاغة كانت من اليونان فهي يونانية المنبت بامتياز. و بعدها اقتدى الرومان باليونانيين في اهتمامهم و دراستهم للبلاغة. نجد أهم أوائل رواد البلاغة: أرسطو، و أنكسمانس، شيشرون، و كينتيليان، و ديمتريوس و هيرموجين، و هيرماغوراس، و سقراط... ثم بعد ذلك تطورت البلاغة و اندمجت في الثقافة العربية حيث ارتبطت بالقرآن الكريم، كما تطورت في الثقافة الغربية في القديم و حديثا، و بذلك انتقلت من كونها بلاغة معيارية تعليمية إلى بلاغة ذات طابع علمي لسانية و حاجية و تداولية و سيميائية (جميل، دس، ص 5، 6، 7).

ثالثا: أسس البلاغة الكلاسيكية : يعد المنطق (Logos) الأخلاقيات (Ethos) و العاطفة (Pathos) مكونات مهمة في جميع أنواع الكتابة، سواء كنا ندركها أم لا من خلال تعلم كيفية التعرف على هذه العناصر في كتابة الآخرين و في كتاباتنا الخاصة، يمكننا إنشاء نصوص تجذب القراء على مستويات مختلفة.

يرى أرسطو أن قدرة المتحدث على إقناع الجمهور تعتمد على مدى جودة استجابته لهذا الجمهور في ثلاثة مجالات مختلفة: المنطق و الأخلاقيات و العاطفة. و عند النظر إليها معا، تشكل هذه العناصر ما أسماه البلاغيون لاحقا "المثلث البلاغي".

المنطق (Logos): يستهدف العقل يمكن أيضا اعتباره نص الحجة بالإضافة إلى مدى قوة الحجج التي يقدمها الكاتب.

الأخلاقيات (Ethos): تستهدف شخصية الكاتب يمكن أيضا اعتبارها دور الكاتب في الحجة و مدى مصداقية حجته.

العاطفة (Pathos): تستهدف المشاعر و الخيال التعاطفي، بالإضافة إلى القيم و المعتقدات يمكن أيضا اعتبارها دور الجمهور في الحجة.

يعرض المثلث البلاغي عادة كمثلث متساوي الأضلاع، مما يشير إلى أن المنطق، الأخلاقيات، و العاطفة يجب أن تكون متوازنة داخل النص، و مع ذلك فإن الجانب الذي تفضله في كتاباتك يعتمد على الجمهور و الغرض من تلك الكتابة، و مع ذلك إذا كنت في شك فابحث عن توازن بين العناصر الثلاثة. (Jaclyn and Mary , 2009)

كما نجد الفيلسوف الروماني شيشرون يوضح في كتابه (De Inventione) المبادئ الخمسة للبلاغة (Five canons of Rhetoric) و هي أساسية للبلاغة: الابتكار (Invetion) الترتيب (Arrangement) الأسلوب (Style) الذاكرة (Memory) و الإلقاء (Delivery) رغم أن هذه المبادئ وضعت في الأصل للتركيز على الخطابة العامة، إلا أن معظمها ينطبق أيضا على مراحل عملية الكتابة: التخطيط، الصياغة، و المراجعة.

1 الابتكار: هو عملية توليد الأفكار و المحتوى للنص في الكتابة، يمثل هذه المرحلة العصف الذهني أو التخطيط المبدئي.

2 الترتيب: هو عملية تنظيم المحتوى و تحديد تسلسله المنطقي في الكتابة و يعتبر جزءا من مرحلة التخطيط المبدئي.

3 الأسلوب: هو عملية اختيار الكلمات و التعبيرات الملائمة للنص في الكتابة يبدأ تطبيق هذا المبدأ في مرحلة الصياغة و يستمر خلال مرحلة المراجعة.

4 الذاكرة: حفظ النص أو الخطاب لتقديمه بشكل طبيعي و فعال هذا المبدأ مهم بشكل خاص في الخطابة العامة.

5 الإلقاء: طريقة تقديم الخطاب بما في ذلك نبرة الصوت لغة الجسد و الإيقاع، يؤثر الإلقاء بشكل كبير على كيفية استقبال الجمهور للرسالة. (Samm)

نستنتج أن البلاغة الكلاسيكية كانت بمثابة عدة منهجية يتزود بها الخطيب أو الكاتب في الحوارات الجدلية و السياسية و القضائية و المناظرات الفلسفية و الأدبية و النحوية، تطرح أسئلة جوهرية كما أنها تتناول الحقيقة و المجاز و تهتم بثنائية الصدق و الكذب.

المبحث الثاني: انبعاث البلاغة الجديدة:

تعتبر البلاغة أداة محورية في تحليل النصوص، تجمع بين مسارين متكاملين: الحجاجي الذي يركز على البنية المنطقية، و الأسلوبى الذي يهتم بالجماليات اللغوية، و قد ارتكزت البلاغة الكلاسيكية في معظم تطبيقاتها على تحليل النصوص و الخطابات الأدبية الواعية و الهادفة، مما دفع إلى إحياء دراستها مجددا لاستكشاف آليات الخطاب غلاّقناعية التي تعزز تقبل الأفكار و استمالة المتلقين، و في هذا المبحث سندرس تتبع مسار تحول المفهوم من البلاغة التقليدية إلى البلاغة المعاصرة.

أولا نقد بيرلمان للبلاغة الكلاسيكية: أحدث شايم بيرلمان تحولا جذريا في التصور الأرسطى للبلاغة بتجاوزه التمييز التقليدي بين: الحجج المنطقية (Logos)، الحجج المرتبطة بسمات الخطيب (Ethos) و المتلقي (Pathos)، المحسنات الأسلوبية (كالاستعارة)، فأرسطو في "الخطابة" عزل الحجج القائمة على المقارنة و الشاهد في الكتاب الأول كمكونات حجاجية، بينما خصص الكتاب الثالث للحديث عن الاستعارة كمحسنات زخرفية، لكن بيرلمان رأى أن هذا التمييز ينهار عند التحليل الدقيق، لأن الاستعارة و المقارنة تعتمدان على المشابهة بين الأشياء، مما يجعلهما أداتين إقناعيتين، و ليس مجرد زينة لغوية.

كما نقد التقسيم الأرسطى (الاستعارة بين الحجاج و الأسلوب) فكرة التشابه الجوهرى كل من المقارنة و الاستعارة يعتمدان على ربط شيء بآخر عبر التشابه، مما يجعلهما أداتين حجاجيتين مثال: قول المتنبي: " فإن تقف الأنام و أنت منهم/ فإن المسك بعض دم الغزال" حيث يقنع بشرعية تفوق سيف الدولة عبر تشبيهه بالمسك النادر في دم الغزال. فكرة التناقض الأرسطى: حيث تحدث أرسطو عن الاستعارة في موضعين متناقضين

1 في الكتاب الأول كشاهد حجاجي (ضمن الاستقراء الخطابي).

2 في الكتاب الثالث كمحسن لفظي.

هذا التوزيع العشوائى يكشف ضعف التمييز بين الحجاج و المحسنات.

في المقابل وضع بيرلمان حل لتوحيد الحجاج و الأسلوب: حيث ألغى بيرلمان الفصل بين "البلاغة الحجاجية" و " بلاغة المحسنات"، و قدم تصنيفا جديدا للحجج:

- الحجج شبه المنطقية (كالمقاييس الخطابية).
- الحجج القائمة على بنية الواقع (كالتلازم بين الغنى و الفقر).
- الحجج المبينة للواقع (إعادة تشكيل الواقع عبر التشابهات الإبداعية).
- الحجج القائمة على فرز المفاهيم (كالتعريفات).
- و النوع الأخطر إقناعا (بناء الواقع): مثال من بنية الواقع: و جود الأغنياء يستلزم وجود الفقراء.

مثال من بناء الواقع: تشبيه المتنبى لسيف الدولة بالمسك في دم الغزال، حيث يبتكر واقعا جديدا عبر تشابه غير مألوف.

هنا تظهر الاستعارة كأداة حجاجية تخلق علاقات جديدة، لا تختزل إلى ملاحظة الواقع القائم.

كما رفض بيرلمان الفصل بين الاستعارة الشعرية و العلمية، مؤكدا أن كلاهما على التناسب (Analogy):

-التناسب العلمي: مثل تشبيه الذرة بالنظام الشمسي في الفيزياء.

-التناسب الشعري: مثل قول غاليلى: " الكون كتاب مكتوب بلغة الرياضيات".

حتى في العلوم الإنسانية، تلعب الاستعارة دورا برهانيا فرويد استخدم استعارة الرقابة الحلمية لشرح آلية الكبت النفسي.

العلوم التجريبية تعتمد على النماذج (الاستعارات المنظمة) لفهم الظواهر غير المحسوسة كما قد أثبت بيرلمان أن الاستعارة ليست ترفا أدبيا، بل أداة حجاجية في الخطاب السياسي و الديني.

أداة برهانية في العلوم الإنسانية و التجريبية.

أداة ابتكارية تعيد تشكيل الواقع عبر التشابهات.

كما أظهر أن التمييز الأرسطي بين " الشعر " و " الحجاج " مصطنع، فكل خطاب حتى العلمي يحتاج إلى الخيال الاستعاري لتجاوز حدود المنطق الصوري. بفضل بيرلمان سقطت الثنائيات التقليدية (منطق/ بلاغة، عقل/ خيال).

لتصبح الاستعارة جسرا بين: الاقناع و الجمال، الواقع و الانحياز، العلم و الشعر. هكذا أعادت البلاغة الجديدة الاعتبار للغة كمحرك مكزي لفهم العالم و تغييره، سواء في الخطاب الأدبي أو العلمي أو اليومي. (محدلولي)

ثانيا: أسباب التحول من البلاغة الكلاسيكية إلى الجديدة : لعل أهم الأسباب التي أدت إلى التحول من البلاغة الكلاسيكية إلى الجديدة هي:

1 جمود البلاغة العربية و تعقيدها : و صفت البلاغة العربية في مراحلها المتأخرة بالجفاف و التكرار، حيث اعتبرها البعض معقدة بسبب التزامها بمناهج صارمة، يعود هذا الجمود إلى عدة أسباب منها: نشأتها في بيئة يغلب عليها التفسير و التعقيد، إضافة إلى أن معظم علماء البلاغة كانوا من غير العرب مما جعلها تتأثر بأساليبهم الفكرية، كما أن ارتباط البلاغة العربية بإعجاز القرآن الكريم أسهم في تعقيدها إلى جانب عزلة الأدب و تراجعه خاصة بعد القرن الخامس الهجري، كما تأثر البلاغة بالفلسفة هو ما زاد من صعوبة مناهجها.

2 -النظرة الاجتزائية في البلاغة العربية : من المشكلات التي واجهتها البلاغة العربية النظرة الاجتزائية التي فصلت بين علومها المختلفة، فلم ينظر إلى البلاغة بوصفها علما متكاملًا بل جرى التعامل مع أجزائها بشكل منفصل، مما أدى إلى ضعف الترابط بين مكوناتها.

3 علمنة البلاغة و ابتعادها عن التحليل الأدبي : تعرضت البلاغة العربية لانتقادات بسبب تركيزها على الجانب العلمي و إهمالها للذوق الفني، حيث تم اتهامها بالتحول إلى علم جاف بعيد عن الفطرة الأدبية، و ينسب هذا التوجه إلى بعض العلماء مثل:

السكاكي، الذي كان له تأثير كبير في صياغة المناهج البلاغية بأسلوب منهجي صارم مما جعل البعض يعتبرون هذا النهج تقييدا للإبداع البلاغي.

4 - الإفراط في التجزئة داخل البلاغة: من المشكلات الأخرى التي أثرت في البلاغة

العربية الإفراط في تقسيمها إلى أقسام منفصلة، مما أدى إلى غياب الترابط بين عناصرها المختلفة فقد تم تناول الاستعارة و التشبيه و الحذف و الفصل و الوصل و غير ذلك من الظواهر البلاغية بشكل مستقل، دون النظر إلى علاقتها ببعضها البعض، غير أن بعض العلماء مثل: عبد القاهر الجرجاني تجاوز هذا القصور من خلال محاولة ربط البلاغة بالبنية النحوية.

5 - المنهجية المعيارية للبلاغة: يرى بعض الباحثين أن البلاغة العربية أصبحت علما

قائما على معايير صارمة، حيث باتت تضع قواعد ثابتة للتحليل البلاغي، دون النظر إلى السياق الإبداعي للنصوص الأدبية، و قد أدى ذلك إلى انفصال واضح بين الأحكام البلاغية و يرى بعض الباحثين أن هذه المعايير لم تفقد البلاغة قيمتها، بل ساهمت في تقريبها إلى دارسيها، و إن كان من الأفضل اعتماد نهج أكثر مرونة يتبع الظواهر الأدبية بشكل أكثر طبيعية.

6 عدم التفريق بين الأجناس الأدبية: من المشكلات التي واجهتها البلاغة العربية أنها

لم تميز بين الأجناس الأدبية المختلفة، فلم تفرق بين بنية الشعر و بنية القصة أو المقال بل تعاملت معها جميعا وفق نفس القواعد الخطابية، و يرى بعض الباحثين أن البلاغيين القدامي ركزوا على دراسة الفروق الدلالية بين الشعر و النثر لكنهم لم يولوا الأجناس الأدبية اهتماما خاصا، مما أدى إلى اغفال الفروقات الجوهرية بينها.(امين خولي)

ثالثا: اتجاهات البلاغة الجديدة

1 الاتجاه اللساني(بلاغة الصور و الخطابات) : تأسست هذه البلاغة ما بين سنوات

الخمسين و الستين من القرن العشرين و كان مجال إهتماما دراسة الصور البلاغية،

والبحث في أدبية النصوص و الخطابات في ضوء الشعرية و البنيوية و السيميائية، كما ظهر في دراسات: رولان بارت (R.Barthes)، جيرار جنيت (G.genette)، و تزتيغان تودوروف (T.Todorot)، و جماعة مو فالصور البلاغية تحتل مكانة جد هامة في الدراسات الأدبية و النقدية و السيميائية فالصورة تعتبر جوهر الأدب هو فن بأثر على المتلقي سلبا أو إيجابيا بواسطة الصورة إضافة إلى ذلك فهناك ما يشارك تلك الصورة في التأثير على المتلقي و هي الرواية و القصة القصيرة، و القصة القصيرة جدا، و القصة الشذرية، و المسرح، و السينما، و التشكيل... فالصورة بذلك أصبحت في نطاق واسع و توسعت مفاهيمها و اختلفت و تنوعت آلياتها الفنية و الجمالية. و ذلك مع تطور العلوم مثل الفلسفة و علم الجمال، و البلاغة و اللسانيات و المنطق و الصورة هي القاسم المشترك بين هذه العلوم و تختلف دراسة كل علم لها على ضوء كل رؤية معينة على حساب التخصص المعرفي و المنهج.

و بهذا فقد صنفنا الصور البلاغية بواسطة معايير محددة فالصور البلاغية صنفنا على المعيار الصوتي أو الخطي، و صور أخرى على معيار المورفيم (الزوائد و اللواحق و المقاطع)، أو على حساب طبيعة الكلمة أو المركب (Syntagne) أو التركيب (Syntade) كما صنفنا على حسب المحاور اللسانية، فهناك صور المحور الاستبدالي نجد مثلا صورة السخرية، أو صور المحور التأليفي مثل الاستعارة، كما نجد جان دوران (G . Durand) يقسم الصور المنطقية (صورة الوصل و الربط و الحذف و التعويض و الاستبدال) إلى صور الهوية، و المشابهة و الاختلاف و التعارض.

كما يركز هذا الاتجاه اللساني على دراسة الوظيفة الشعرية، مثل ما نجده عند رومان جاكسون الذي يميز في مقارنته التواصلية الوظيفية عن ستة عناصر أساسية هي:

المرسل إليه، الرسالة، القناة، المرجع، اللغة. (جميل، دس، ص ص 8، 34).

2 الاتجاه الأسلوبي (البلاغة أسلوب) : الأسلوبية (Stylistique) هي دراسة الأسلوب دراسة علمية، و فرع من فروع اللسانيات، وظيفتها وصف الأسلوب (بنيته و دلالاته و

مقصديته) على خلاف البلاغة الكلاسيكية التي كانت تهتم بالابداع و الجماليات و الزخرفة في الكتابة. فالأسلوبية هي دراسة الأسلوب و تحديد مميزاته، و استخلاص مقوماته الفنية و الجمالية مع تباين آثار ذلك على القارئ ذهنيا و وجدانيا و حركيا، فالأسلوبية تعتبر مقارنة منهجية نظرية و تطبيقه تتمثل في الحقل الأدبي و النقدي. كما تطرح الأسلوبية مواضيع أخرى إلى جانب الأسلوب و الشعر التي تهتم بهما و هي الكتابة و الصياغة، وموضوع التلفظ و ثنائية التعيين و التضمن، و ثنائية التقرير و الإيحاء و ثنائية الاتساق و الانسجام و قضية الانزياح، و نظرية أفعال الكلام و العناية بثنائية اللفظ و المعنى فالأسلوبية كان ظهورها أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين في مختلف الدول الغربية، لتنتقل فيما بعد ، و ثنائية التقرير و الإيحاء و ثنائية الاتساق و الانسجام و قضية الانزياح، و نظرية أفعال الكلام و العناية بثنائية اللفظ و المعنى فالأسلوبية كان ظهورها أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين في مختلف الدول الغربية، لتنتقل فيما بعد إلى العرب عن طريق الترجمة، و هنا يتبين أن الأسلوبية ارتبطت بعملية التفكير حول الأسلوب.

3 4الاتجاه الحجاجي (البلاغة حجاج و إقناع): كان تأسيس البلاغة الجديدة عام 6392م مع رجل القانون الشبكي شايم بيرلمان (Chaim Perelman ، و اللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (Lucie Olbrechts- Tyteca) في كتابهما (الوجيز في الحجاج، البلاغة الجديدة). و هنا نميز نوعان من الحجاج: حجاج عند البلاغيين الجدد يستخدم تقنيات بلاغية و منطقية و هنا نجد أن البلاغة الجديدة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحجاج من أجل عملية الإقناع، و قد ركز بيرلمان على مبدأ: القصد و المقام. فالهدف من الحجاج هو الإقناع و التأثير و التداول و التواصل و التخاطب، و الحجاج عند بيرلمان لا يعتمد على العنف أو التضليل بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء، و بهذا نجد بيرلمان فقد جدد آراء أرسطو هو و

زميلته تيتيكا حيث أعاد إليها طابعها الفلسفي الحقيقي، وقام باستبعاد آراء أفلاطون و السفسطائيين لأنها قائمة على السفسطة و المنهج المغالطي و التشكيك " كما ارتبطت أفكاره بمجالات متعددة منها القانون و الفلسفة و البلاغة، و انتشرت في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، خصوصا في فرنسا، حيث أثرت في الدراسات اللغوية و الفكرية. و كان هدفه الأساسي هو فهم كيفية إصدار الأحكام، مما جعله يركز على دور الحجاج في تكوين الآراء و صياغة المواقف الحياتية. و قد أثرت أفكار بيرلمان على الدراسات البلاغية الحديثة، حيث وسعت من مفهوم البلاغة ليشمل الخطاب السياسي و الاجتماعي، بالإضافة إلى الحقل القانوني و الفلسفي، و قد كان لهذه النظرية دور مهم في تفسير كيفية تفاعل الأفراد مع الخطاب العام و اتخاذ القرارات بناء على الحجج و الاستدلالات، مما جعلها أداة فعالة في فهم جميع أنواع الخطابات.

4 4 اتجته السيمائي (البلاغة في خدمة السيمياء): يعتبر رولان بارت " R.Barthes " أن

البحث السيميولوجي يختلف عن الدراسات اللغوية التقليدية، حيث يهتم بدراسة الأنظمة الدلالية التي تشكل الواقع الانسان و تعبر عنه عبر اللغة. فاللغة حسب بارت ليست مجرد و سيلة للتواصل، بل تحمل دلالات خاصة تسهم في تشكيل فهمنا للعالم. لذا يرى بارت أن الاقتصار على التحليل اللغوي التقليدي قد يكون محدودا ، لأنه يركز على الجوانب النحوية و التركيبية دون النظر إلى المعاني الأعمق التي تعبر عنها اللغة في سياقات مختلفة. و من هنا يرفض بارت التفسير السطحي للغة الذي يكتفي بربط العلامات بمعانيها مباشرة، مؤكدا على وجود بعد دلالي أوسع يتجاوز نقل المعلومات فاللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي أيضا وسيط يستخدم لنقل رؤى و أفكار ترتبط بالسياق الاجتماعي و الثقافي، و بالتالي فإن التحليل السيميولوجي يسمح بفهم أعمق لطبيعة اللغة بوصفها نظاما ديناميكيا يتجاوز البنية اللغوية التقليدية.

تعتبر الصورة الاشهارية خطابا سيميائيا و ابداعيا يتألف من ثلاثة مستويات أساسية: الخطاب اللغوي و المكتوب و المنطوق، الخطاب البصري الذي يشمل الأيقونات، و الخطاب الموسيقي أو الايقاعي كما يتضمن أيضا عناصر دلالية مثل ثنائية الدال و المدلول و التي تتشكل من ثلاثة مكونات تواصلية رئيسية. يتمثل العنصر الأول في المرسل الذي يمكن أن يكون فردا أو مؤسسة إجتماعية، أما العنصر الثاني فيرتبط بالرسالة الإشهارية ذاتها التي تتجلى من خلال الكلمات أو الصور، بينما يمثل العنصر الثالث الجمهور المستهدف الذي يتلقى هذه الرسالة، إضافة إلى ذلك تحمل الرسالة الإشهارية بعدين رئيسيين: البعد التقريري الذي يعتمد على تقديم المعلومات بشكل مباشر، و البعد الإيحائي الذي يهدف إلى التأثير على المتلقي عبر الاستعارة و الصور الرمزية، و تعد العلامات المستخدمة في الإعلانات وسيلة لإيصال رسائل ضمنية و مضامين ثقافية تتجاوز المعنى السطحي للكلمات مما يجعل الصورة الإشهارية أداة فعالة للتواصل و الإقناع.

5 4الاتجاه التداولي (البلاغة أفعال كلامية و استلزام حوارية): يرتبط الاتجاه التداولي الحديث في البلاغة بفهوم أفعال الكلام حيث لا ينظر إلى النص الأدبي على أنه مجرد وسيلة لنقل الأخبار و الأفكار، بل ينظر إليه كأداة تؤثر في المتلقي و تحدث تغييرا معينا من خلال مجموعة الأقوال و الأفعال الإنجازية أو تغيير موقف سلوكي من خلال ثنائية: افع و لا تفعل، خلال العقود الأخيرة، شهدت الدراسات اللغوية تطورا ملحوظا في هذا المجال لا سيما مع جهودا " أوستن" و "سيرل"، اللذان قدما نظرية أفعال الكلام. يرى أوستن أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي أيضا أداة لإنجاز أفعال معينة، مثل الوعد، الشكر أو الأمر، و قد قسم أفعال الكلام إلى ثلاثة عناصر رئيسية: الفعل القول و هو إصدار الكلمات ذاتها، الفعل الانجازي الذي يشير إلى الأثر الذي يحدثه القول في المتلقي، و الفعل التأثيري و هو النتيجة الفعلية للقول على المستوى العلمي أو الاجتماعي، و بهذا لم تعد البلاغة تقتصر على دراسة الأساليب الجمالية في النصوص بل أصبحت تهتم أيضا بتحليل

الأبعاد التداولية للأفعال اللغوية، مثل التأثير و الاقناع و التوجيه، مما يثري فهمنا لاستخدام اللغة في الحياة اليومية.

كما يمكن تصنيف الفعل الكلامي إلى ثلاثة أنواع رئيسية: فعل القول الذي يتجسد في نطق الكلمات نفسها، و الفعل المتضمن في القول و هو المعنى الطي تحمله الكلمات إلى المستمع، و أخيرا الفعل الناتج عن القول و الذي قد لا يكون مباشرا و إنما يستدل عليه من خلال السياق و التأثير الذي يتركه الكلام في المخاطب. كما يمكن النظر إلى الجملة الواحدة باعتبارها تتكون من ثلاث مستويات من المعنى: المعنى القاموسي المباشر، و المعنى الإنجازي الذي يرتبط بالسياق و يؤثر في المتلقي، والمعنى التأثيري الذي يعكس استجابة المخاطب للكلام. و بذلك فإن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل تمتلك قوة تأثيرية تحدث تغييرا في السلوك و المواقف.

أما من الناحية التداولية، فالفعل الكلامي يتميز بارتباطه بالسياق و قدرته على تحقيق مقاصد مختلفة، مما يفسر الاختلاف في درجات التأثير بين المتكلم و المتلقي، و كذلك اختلاف قوة الفعل الإنجازي.

و يمكن تصنيف أفعال الكلام حسب أغراضها إلى عدة أنواع منها:

- التقريرات: تستخدم لتأكيد المعلومات و إيصال الحقائق مثل قول: "أنا كاتب و ناقد".
- الطلبات أو الأوامر: تعبر عن رغبة المتكلم في دفع المخاطب للقيام بعمل معين مثل: "هل يمكنك إغلاق الباب؟".
- الإفصاح عن الأحاسيس والانفعالات: تعكس الحالة النفسية للمتكلم مثل: "أنا سعيد برؤيتك".
- الالتزامات: تلزم المتكلم بفعل معين في المستقبل مثل: "أعدك بأن أزورك قريبا".
- التصريحات: تهدف إلى إحداث تغيير في الواقع الاجتماعي مثل: "أعلن افتتاح المؤتمر".

وبذلك يعتمد التحليل التداولي للنصوص الأدبية على استخلاص الأفعال الكلامية و تحليل تأثيرها في المعنى و السياق. (جميل، دس، ص ص 8، 34).

نستنتج في الأخير أن البلاغة أصبحت واسعة تضم مختلف المعارف و التخصصات حيث ترتبط بالحجاج و التواصل حسب أوليفية ريبول، و شايم بيرلمان، و لم تعد مقتصرة على الأدب لتشمل العلوم الإنسانية و الاجتماعية مثل: الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، التاريخ، اللسانيات، و علم التواصل باعتبارها أم العلوم و المعارف و التخصصات. وبذلك باتت البلاغة أداة تحليل للخطابات المتنوعة: كالديني، السياسي، الفلسفي، العلمي، الأدبي، مما عزز مكانتها بين العلوم و المعارف المختلفة، كما نجد أن البلاغة الجديدة ليست قطيعة مع الكلاسيكية، بل هي امتداد متكيف مع تعقيدات العصر الحديث، حيث لم يعد الإقناع يختزل في " فن الخطابة" بل أصبحت عملية ديناميكية تشمل كل أشكال التفاعل الإنساني.

الفصل الثالث:

طبيعة الحجاج في البلاغة

الجديدة

تمهيد:

كان تأسيس البلاغة الجديدة أو ما يعرف بالبلاغة الحجاجية عام 1958 مع رجل القانون التشيكي شاييم بيرلمان، و اللسانية البلجيكية لوسي أو ليبرخت تيبكا، في كتابهما الشهير "مصنف في الحجاج" "الخطابة الجديدة"، حيث قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: قسم تناول فيه أطر الحجاج، و قسم تناول فيه منطلقات الحجاج، وقسم تناول فيه تقنيات الحجاج. فهدف الحجاج فعالية تداولية، تلتزم وجود طرفين للقيام بعملية التواصل مع الرسالة الموجهة أو ما يعرف باللوغوس بغية إقناع الآخر، حيث نجد الحجاج عند بيرلمان لا يعتمد على العنف أو التضليل أو التوهيم، كما كان موجود سابقا مع السفطائيين، بل غرضه بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء، كما نجد أن البلاغة الجديدة تحمل في طياتها صور فنية و محسنات بيديعية، كما يمكن اعتبارها بلاغة أرسطية جديدة، لأن بيرلمان اهتم بنفس القضايا الحجاجية الأرسطية لكن في رؤية جديدة مخالفة لسابقه. و تعتبر أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية. و محاولة للعودة إلى الأصل حيث كانت البلاغة حجاجية و كانت المزيّنات الجمالية دعائم تسعى إلى بعث الاقناع. بالاضافة إلى أن الحجاج عند بيرلمان لم ينحصر في الفلسفة و القانون فحسب بل يشمل كل نواحي الحياة فنجد في التربية و الفن و الأخلاق و الدين... حتى في حياتنا اليومية و في هذا الصدد يقول: " إن أهمية هذه الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفرها الحجاج الأكثر سموا عند الفلاسفة و القانون" و في هذا الفصل المعنون ب طبيعة الحجاج في البلاغة الجديدة عند بيرلمان ستعالج أهم مقومات الحجاج الفلسفي عنده و تقنياته و فيما يتمثل المشروع الذي جاء به بيرلمان لبيان طبيعة الحجاج في ابلاغة الجديدة.

المبحث الأول: نظرية الحجاج عند بيرلمان كمشروع إبستمولوجي و تأويلي:

يعد شاييم بيرلمان من أبرز فلاسفة البلاغة الحديثة، وذلك لاسهامه الكبير في تطوير نظرية الحجاج، مجاوزا بذلك البلاغة التقليدية و تأثيرها بالاضافة إلى سعيه إلى دمج التأويل كمنهج ملائم لفهم النصوص و الخطابات الحجاجية و هذا ما سنتطرق إلى معرفته في مبحثنا هذا.

أولا: مشروع بيرلمان (نقد الاتجاهين الفلسفيين التجريبية و العقلانية):

يسعى مشروع بيرلمان إلى إعادة الاعتبار للبلاغة من خلال نقده الاتجاهيين الفلسفيين (التجريبية و العقلانية)، ففي نظرهم البلاغة تقتصر إلى الخصائص العلمية. هنا دخلت البلاغة الجديدة في صراع بين مختلف العلوم العقلية و التجريبية كالفلسفة و العلوم التجريبية و الرياضيات و الأخلاق و العلوم الانسانية لإثبات وجودها و انتسابها إليهم.

فهذه العلوم كانت على عدااء مع البلاغة الجديدة و ذلك راجع إلى موضوع العلم من الدرجة الأولى، وهنا نجد أن الاتجاهان الفلسفيان يختلفان في طبيعة منهجهما فالعقلانية ترى أن الأفكار البديهية هي نتيجة العقل السوي بعيدا عن الأهواء و العواطف و هنا وجود لدور الذات و هذا الطرح يمثله أفلاطون الذي يرى أن العالم الحقيقي هو عالم المثل، و أي شيء في الواقع يعتبر مزيف و محاكاة للعالم المثل الحقيقي، و على هذا الأساس رفض البلاغة.

أما التجريبية فهي عكس العقلانية حيث تلجأ إلى التجربة و لمعرفة الحقائق، و لكنهما يشتركان في عدائهما للبلاغة. يقول بيرلمان في هذا الصدد: " إن كل إثبات لفكرة عامة أعلى من الوقائع قد لا تكون إلا رأيا أو نظرية ينبغي دعمها بالوقائع، في حين أن هذه الأخيرة تكون بمنأى عن أي نقد، وهي بذرات المعرفة شأنها شأن الأفكار البديهية، وهي من حيث الجوهر غير متغيرة و مستقلة عن الشخص ومزاجه وتكوينه وتاريخه". فجوهر التجريبية هو أن اللغة تصبح أداة اتفاقية تسمح بالانتقال من لغة إلى لغة. و لهذا يجب على البرهنة تفادي كل رأي لا يحتوي الحقيقية، وهنا يحصل التطابق بين الذات و الموضوع و تقوم باستبعاد العناصر الذاتية الفوضوية انطلاقا من التجربة التي تمثل مصدر التجريبية.

وهنا نجد نقص بين البلاغة و العقلانية و التجريبية، فإن البلاغة تقوم على الرأي المبني على مايعتقده الناس فما يسلمون به لا يكون موافقا لتعاليم التجريبية و العقلانية. وقد كان الغرض الأساسي في أن يتوجه بيرلمان للبلاغة عن طريق نظريته الحجاجية هي أن تستعيد البلاغة مكانها الطبيعي بين هذه العلوم سواء كانت تجريبية أم عقلية.

و بناءا على هذا الطرح قام بيرلمان بوضع حدود مشروع على أساس موضوع وهدف الحجاج. فالموضوع يهتم بدراسة مجموعة من التقنيات الخطابية لاستمالة المتلقين إلى المواضيع التي تعرض عليهم أو زيادة الاستمالة. أما الهدف منه فهو اقناع و استمالة و التأثير على المتلقي. لذا يجب توفر مجموعة من المقومات و التقنيات حيث يكون المجال للبحث متعلقا بالمعقول لا المحتمل كما هو الحال في العلوم التجريبية و العقلية) نورالدين بوزناشة_ ص 216.217.218).

ثانيا: التأويل في الحجاج عند بيرلمان:

لفظة تأويل مستقلة من فعل "آل"، بمعنى العودة و الرجوع إلى الشيء كما ذكر ابن منظور في لسان العرب و بفهم التأويل عادة مثل الرازي و الطبري على هذا المعنى، بينما فرق آخرون مثل الجرجاني بين التفسير و التأويل، حيث ربط التفسير بتوضيح النصوص القرآنية، كما في قصة يوسف عليه السلام، أما في الفلسفة الغربية فإن أصل مفهوم التأويل يعود إلى الكلمة اليونانية (Hermenuein) بمعنى التفسير و ارتبطت باله هرمس الذي كان يعتبر رسول الآلهة و حامل رسائلها، وقد أعيد إحياء هذا المفهوم في الفلسفة الغربية على يد فلاسفة مثل: شلايرماخر و هيجل و غادامير، و بول ريكور الذين استخدموه في دراسة النصوص الدينية و الفلسفية و الأدبية.

كما قد اختلفت مفاهيم التأويل و تعددت بسبب تباين التعريفات اللغوية و الرؤى الفكرية و المناهج و الخلفيات المعرفية و الايديولوجية ، سواء في التراث العربي الإسلامي أو الغربي، ففي التراث العربي الإسلامي ارتبط التأويل بالقرآن وعلومه و علم الكلام و أصول الفقه و التصوف ففي النص القرآني عرف الإمام الجويني التأويل بأنه صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها و ما بعدها، يحتمله النص دون مخالفة الكتاب و السنة. هذا التعريف يتقاطع مع ما قدمه الغزالي حيث يرى التأويل كتحويل اللفظ من ظاهرة إلى معنى آخر يحتمله النص بوجود قرينة ، كما ربط الفلاسفة و علماء الكلام التأويل بالانتقال من الدلالة الحقيقية إلى المجازية أو من الظاهر إلى الباطن. أما في التراث الغربي، فقد تطور مفهوم الهيرمينوطيقا بشكل ديناميكي، حيث بدأ تفسير النصوص الشعرية كما بين أفلاطون ذلك، ثم ارتبط فيما بعد بالتأويل الفلسفي عند أرسطو، الذي يرى التأويل و سيلة لإيصال المعنى عبر الصوت، و مع ظهور المسيحية تحولت الهيرمينوطيقا نحو تفسير النصوص المقدسة، و بقيت مرتبطة بالنصوص الدينية حتى ظهور الفيلسوف الألماني شلايرماخر الذي وسع مفهومها ليشمل ظاهرة الفهم بشكل عام، ثم طور بعد ذلك دلتاي الهيرمينوطيقا لترتبط بالعلوم الإنسانية و الاجتماعية، و فصل بين الفهم و التفسير، أما غادامير فقد نقل الهيرمينوطيقا من الإطار الابستمولوجي إلى تعدد المعاني و القراءات، بينما استعمل هايدغر التأويل في إطار الوجود (الوجودي). تكمن أهمية التأويل في كونها مسألة واسعة تتسع لتعدد معانيه و مجالان استخدامه، فمهمة التأويل إزالة اللبس و الغموض الذي يحدث في اللغة و بذلك يتجاوز الاختلافات و الصراعات. كما يكمن هدفه الرئيسي أنه يحقق الفهم و يتجاوز سوء الفهم و

الوصول إلى درجة من التقاهم هنا ند أن الحجاج و التأويل يشتركان في هدفين رئيسيين هما التأثير و الإقناع، فغاية الحجة هي التأثير النفسي و الإقناع العقلي للآخرين، وهي نفس الغاية التي يسعى إليها التأويل عندما يتدخل لتوضيح الغموض في النص أو الخطاب. (ناصر، 2024، ص ص 297، 298، 299)

ثالثاً: ابستمولوجيا الحجاج عند بيرلمان : تتمثل ابستمولوجيا الحجاج عند شايم بيرلمان بين نصية الإقناع و فنية الاقتناع، حيث قام بيرلمان بتقسيم الحجاج إلى نوعين هما: الحجاج الإقناعي و الحجاج الإقتناعي فالإقتناع يخاطب العقل بينما الإقناع يخاطب الإرادة و كما هو الحال عند القدماء.

الحجاج الإقناعي: يهدف إلى إقناع الجمهور مهتم بالعاطفة و يهمل العقل و هو يعتبر مجال من بين مجالات البحث الحجاجي من أجل أنه يكون بذلك سبب قيام الشخص بفعل معين أو تغييره على حسب المقام، ولتتم هذه العملية بنجاح لا بد من مراعاة الأسلوب و احترام المتلقي و مراعاة نفسيته و علاقاته الإجتماعية.

كما بين لنا بيرلمان آراء باسكال عن الاقتناع في كتابه " فلسفة البلاغة الجديدة" الذي ميز بين قوتين تلتقي فيهما الذات و العلاقات الخارجية هما العقل و الإرادة، حيث فضل باسكال العقل مع عدم إهماله لقوة الإرادة و ذلك لأهميتها الكبيرة في العملية الحجاجية هنا يرى بيرلمان أن كل قوة لها فاعليتها و لا يمكننا إلغاء قوة و استبدالها بغيرها، و من هنا نجد بيرلمان يعتبر حجاج الاقتناع له دور كبير في أي مرافعة أو أي نوع من الخطابات حيث يقول بهذا الشأن: " أن أي مداولة في الاجتماع مرافعة خطاب سياسي أو ديني و في معظم العروض الفلسفية لن يمكننا العمل إلا عن طريق الإيحاء، و سيأخذ نطاق عطا الأخير بالامتداد ليشمل كل ما لا يمكن له الاستناد على التجربة و لا على الاستدلال.

الحجاج الإقتناعي: ينبعث هذا النوع من داخل النفس بكل أريحية و يسلم به كل عقل كوني و ينبذ كل أساليب العنف و الإكراه و على هذا الأساس يعتبر أساس الحجاج و هذا هو المبدأ الذي انطلق منه بيرلمان في بناء الحجاج حيث اهتم بالحرية و الحوار و التحرر من الاستدلال يقول بيرلمان في هذا الصدد: " إن الحجاج غير الملزم و غير الاعتباطي هو وحده القائم بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيثهي ممارسة لاختيار عاقل فإن تكون الحرية تسليمًا اضطرارياً بنظام طبيعي معطى سلفاً معناه انعدام كل إمكان للاختيار فإذا لم تكن ممارسة الحرية مبنية على العقل فإن كل اختيار يكون ضرباً من الحوار و سيحيل إلى حكم

اعتباطي يسبح في فراغ فكري". و هنا نجد أن بيرلمان خلص الحجاج من المغالطة و التلاعب بعواطف و عقل الجمهور المتلقي. و التخلص من الاستدلال الذي يجعل المخاطب في موضع خضوع يقول بيرلمان في هذا الصدد: "الحجاج لا يكون أبداً في موضع يسمح له بإدعاء اليقين و لاجدوى من الحجاج ضد ما هو يقيني... الحجاج لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع طعن. (سامية، 2023، ص ص 1331، 1332).

نستنتج في الأخير أن مشروع بيرلمان قد شكل نقلة نوعية في فهم الحجاج الفلسفي يتجاوز النموذج العقلاني الصارم و الاتجاه نحو رؤية تكاملية بين المنطق و البلاغة، كما نجد أن الحجاج لا ينفصل عن عملية التأويل، فالإقناع ليس نقالا للأفكار فقط، بل تفكيك و تحليل لها و فهمها جيداً لإزالة الغموض منها و إعادة تركيبها حسب السياق الثقافي و قيم الجمهور إذا نجد كذلك بيرلمان قدم ابستمولوجيا تكاملية تجمع بين النصية و الفنية، فالحقيقة تبنى عبر تفاعل بين المنطق و البلاغة، فالحجاج ليس برهان مجرد، بل حوار تواصل يربط بين التجريد و الواقع.

المبحث الثاني: الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة:

يعد الحجاج الفلسفي ركيزة أساسية تستند إليها البلاغة الجديدة، و له أهمية كبيرة نظرا للوظائف التي قام بها حيث أعاد البلاغة التقليدية أو الكلاسيكية من جديد فقد أحييت من رمادها لتنبعث من جديد بثوب جديد فقد تحولت من مجرد اتقان الأساليب البيانية إلى دراسة آليات الإقناع في الخطاب بأشكاله المختلفة و في هذا المبحث سندرس أهم مقومات و مسلمات الحجاج الفلسفي و تقنياته التي يتميز بها.

أولا مسلمات و مقومات الحجاج الفلسفي:

1 مسلمات الحجاج الفلسفي:

الخطاب الحجاجي قائم على مقدمات يسلم بها المخاطب، و المقدمات هي الافتراضات أو الاقتراحات التي يقوم بوضعها الخطيب أثناء تقديم قضاياه، و منها: الوقائع و الحقائق و الافتراضات و القيم و هرميتها، و المعاني أو المواضع.

الوقائع: و هي المشترك بين جميع الناس، و تكمن قوتها في الإجماع حولها و لا يمكن رفضها أو الاعتراض عليها، كما أنها تنقسم إلى وقائع عينية و وقائع افتراضية.

الحقائق: مهمتها ربط الوقائع فيما بينها لتركيب الحقيقة، كما أنها تقوم على النظريات العلمية و المفاهيم الفلسفية أو الدينية.

الافتراضات: يشترط في الافتراضات أن تستند إلى عناصر حجاجية لتقويتها حتى تنال المواقف العامة.

القيم: تكون هذه القيم مجردة كالعدل و الحق و الحرية و إما محسوسة كالمدرسة و المنزل و المصانع، و هي تمثل المشترك بين الأفراد نظرا لقوتها في التأثير.

الهرميات: و المقصود بها درجات التفاوت بين القيم فالقيم ليست متساوية أو على درجة واحدة لدى الجميع و هي نوعان: مجردة (العدل أفضل من النافع) و محسوسة (الإنسان أعلى درجة من الحيوان).

المعاني أو المواضع: هي أعم من القيم، و تنقسم إلى مواضع مشتركة أي يمكن استعمالها في مختلف العلوم (شمولية)، و منها مواضع خاصة أي يختص بها علم دون باقي العلوم (متخصصة)، و منها:

- مواضع الكم: تتميز بأنها تثبت أفضلية شيء عن شيء آخر، مثل: الماء الغزير أفضل من القليل، أو الكل أكبر من الجزء.

• مواضع الكيف: مثل الحقيقة مقابل الآراء.

مواضع أخرى منها الترتيب، فالمبادئ السابقة أفضل من اللاحقة أي مراعاة جانب الترتيب بين الأشياء فكل شيء له ترتيب معين حسب أهميته و دوره.

2 مقومات الحجاج الفلسفي:

يعرف بيرلمان موضوع الحجاج بقوله: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة التسليم" (محمد، 2023، ص ص71/76).

فالحجاج يهدف إلى استمالة المستمع الذي يعتبر جزءا مهما في العملية الحجاجية لذلك توجب عل المتكلم بجميع صفاته سواء خطيبا أم كاتباً أن يهتم بالمتلقي و يراعي مشاعره و أفكاره و أحواله. و أن يكون كلامه واضحا لا يوجد فيه أي غموض حتى يتحقق الإقناع كما يعتمد الحجاج على حضور شخصية الباث (المبلغ)، و المتلقي (المستمع). الذي يعتبر محور عملية الحجاجية و الإقناع.

كما نجد أن المستمع يختلف بحسب المقام مثلا: محاميا يوجه مرافعته إلى قاض من أجل إقناعه. أو صحفيا يقوم بمساءلة شخص ما للتعبير عن أحواله أمام الرأي العام. و قد يهمل المحامي جزء من مستمعيه لذلك يتغير المتلقي حسب المقامات الظروف التي تواجه الإنسان يقول محمد ولد سالم: " الحجاج عرضه للتغيير و التحويل في بنائه و أنساقه التي يقوم عليها و ذلك تبعا لتغير المقام و تغير ظروف المحاجج حتى و إن ظل النقاش هو ذاته و هنا يرى بيرلمان أن هناك اختلاف بين مخاطبة الفرد و مخاطبة الجماعة، فالخطيب أثناء عملية الحوار و تبادل الأسئلة و الأجوبة يستطيع التعرف أكثر على المستمع و خاصة ميولاته و رغباته و هذا ما يهيء و ضعيته مناسبة لعملية الإقناع، بينما إذا تجاهل الخطيب تلك الميولات و الرغبات فسيصعب عليه إقناع مستمعه و بهذا يضيع الإقناع. (نور الدين، ص 220).

لأن الخطيب الذي لا يلتفت إلى مطالب المستمع هو شخص أناني، أو أنه لا يتحدث إلا مع نفسه، و ينصت إلى هلاوسه، هذا الشرط أساس بالنسبة إلى ذلك الذي يسعى إلى التمكن من المستمع وجعله يتصرف وفق ما نرغب فيه (محمد، ص 369).

فالاهتمام بالمستمع و معرفته جيدا يساعد في عملية الإقناع، لذا وجب على المتكلم مراعاة مقام مخاطبيه في جميع مستوياتهم سواءا اجتماعية أو فكرية أو سياسية. كما أن التمييز بين

الخطابات يقودنا إلى الفهم الجيد فمثلاً أن مخاطب جماعة متخصصين مثل الفيزيائيين و المؤرخين، يختلف الحال على الخطاب المرتكز على الأسئلة و الأجوبة، لأنه مقيد بمناهج التي يفترض عليه قبولها لذلك يجب التمييز بين الخطاب اليقيني و الاقناعي لكي يحصل الفهم فالخطاب الاقناعي يختص فيه المتكلم و المتلقي في ميزة تأويلية للأشياء و الكلمات تكتسب معاني جديدة و بذلك ينطبع المعنى في ذهن المتكلم و المتلقي، بينما في الخطاب العلمي يختص بالوجود الأنطولوجي للأشياء و الكلمات، و البعد عن التأويل، وبهذا يكون الرابط الجامع بين الباحث و المتلقي هي العلاقة التأويلية التي تطبع الأشياء و الكلمات. فالمتلقي عند بيرلمان فاعل نشيط و معرفة أحواله و ميوله ضرورية للمتكلم أو المخاطب لأن ذلك يحقق عملية الاقتناع و التأثير " يقول محمد سالم : و المتكلم (خطيباً أو كاتباً) لا يستطيع تخيل هذا المخاطب، ما لم يكن على دراية عميق بأحوال المخاطبين الراهنة و بموروثهم الثقافي و الحضاري و بهموم مستقبلهم. (نور الدين، دس، ص 222).

ثانياً: تقنيات الحجاج الفلسفي:

تنقسم التقنيات التي يقوم عليها الحجاج على حسب المفهوم الذي وضعه لها كلا من بيرلمان و تيتيكا على نوعين من الطرق، طرق الوصل أو الاتصال (Brocédés de liaison) و طرق الفصل أو الانفصال (Procédés de dissociation) كما أن الباحثان قسما هذه الطرق على ثلاثة أنواع من الحجج هي:

1 الطرق الاتصالية: حجج شبه منطقية.

حجج مؤسسة على بنية الواقع.

حجج مؤسسة لبنية الواقع.

- الحجج شبه منطقية (Argument quasi logique): تعتمد على البنى المنطقية، مثل التناقض (Contradiction) و التماثل التام أو الجزئي (Identité totale au partille) كما تعتمد على العلاقات الرياضية مثل: علاقة الجزء بالكل، و علاقة الأصغر بالأكبر.

أما الحجج شبه المنطقية المعتمدة على البنية المنطقية فتتلخص في:

- 1 التناقض و عدم الاتفاق: أن تكون إحدى القضايا كافية للآخرى (ينزل المطر، لا ينزل المطر)، كما أن عدم الاتفاق يعني أن نختار إحدى القضيتين و نستبعد الأخرى على حسب الظروف أو المقام.

2 التماثل و الحد في الحجاج: هو تعبير عن التماثل بين المعرف و المعرف فهما

يتمثالان لفظاً، لكن اللفظ الثاني محمولاً على المجاز لتجنب أن تكون العبارة الثانية ضرباً من الحشو حيث يتم استعمال هذا التماثل لتقويم الأشياء إيجابياً أو سلبياً عن طريق الحشو مثل: " حين أرى ما أرى، أفكر فيما أفكر " هنا نلاحظ حشو في الكلام و تكراره لكن تكمن الدلالة المقصودة في اللفظ الثاني، لكن لا يمكن أن نستنتج الغاية الحجاجية في كلام مكرر و محشو، إلا إذا كان في مقام يضمن له مكانته الحجاجية.

3 الحجج القائمة على العلاقة التبادلية (Argument de réprocité): تقوم هذه

الحجج بالوائمة بين الحجج العكسية، و تكون متماثلة بعد ذلك إلى أن تطبق قاعدة العدل.

4 حجج التعددية (Argument de transivité): تقوم بدراسة العلاقات بين

عنصرين عن طريق العنصر الثالث.

أما الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية فمنها:

- ادماج الجزء في الكل: أي ما نطبقه على الكل نطبقه كذلك على الجزء.

- تقسيم الكل إلى أجزاء: أن نقوم بتقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.

• حجج مؤسسة على بنية الواقع: (Les argument bases sur structure de reel)

تستخدم هذه الحجج للربط بين أحكام مسلم بها، و أحكام يسعى الخطاب أن يجعلها مسلماً بها، إذ تضع الأحكام المسلم بها، و غير المسلم بها في مجال واحد يعد وصلها. من بين أنواع الاتصال نجد:

- الاتصال التتابعي (liaison du succession) يصل بين الظاهرة و نتائجها و أسبابها،

و له عدة أوجه: الوصل السببي: له ثلاثة أنواع من الحجاج، حجاج يربط بين حديثين متتابعين، و حجاج يقع بواسطة رابط سببي و حجاج يقوم بالتكهن بما سينجز عن حدث ما من نتائج.

حجة الير (Largument de gaspillage): تقوم على الاتصال و التتابع أي أن علينا أن نكمل انجاز اي عمل نقوم به و تواصل العمل به.

حجة ال L (Largument de direction): تقوم على فكرة التحذير، كالتحذير من اتباع سياسة التنازل في بعض الأمور سميت بهذا الإسم لأنها تؤثر في باقي الحجج.

-الاتصال التواجدي (Laison de coexistence): يقوم على التداخل بين العمل و الشخص و له وجوه متنوعة: أولاً الشخص و أعماله: هذان مفهومان مترابطان يستحيل الفصل بينهما.

حجة السلطة (Argument d'autorité): هذه الحجة تستمد وجودها من سلطة ما، سواء كانت سلطة المتكلم أو المحتج له أو حتى سلطة الحجة في حد ذاتها.

-الاتصال الرمزي: نجد قيمة الرمز و دلالاته و ذلك من خلال معرفته للترابط الزمني و المرموز إليه.

حجج مؤسسة لبنية لواقع (les arguments qui fondent la structure deréel)

أولاً: تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة: كالمثل نأني به أثناء التأكيد لفكرة ما، يستعمل عادة في الحجاج فالمثل هنا دوره دعم الفكرة و إقناع الجمهور بها.

ثانياً: الاستدلال بواسطة التمثيل (Analogie): يرى بيرلمان أن التمثيل في الحجاج له مكانته، فهو ذو قيمة حجاجية، و تماثل قائم بين بنى معينة، مثل: قوله عز و جل: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت" سورة العنكبوت الآية 41.

لدينا البنى: أ- المشركون

ب- أوليائهم

ج- العنكبوت

د- بينها

حيث يصف بيرلمان هذه العلاقة ب: "تشابه العلاقة"، فالعلاقة بين أ و ب تمثل المشتركين بأوليائهم، تشبه علاقة ج و د و هي علاقة العنكبوت بينها، فمثلها يعتصم المشتركين بأوليائهم تعتصم كذلك العنكبوت ببيتها.

2- الطرق الانفصالية في الحجاج: عكس الطرق الاتصالية، فالطرق الانفصالية تقوم

على فصل علاقات مبنية على وحدة معينة، حيث نسمي هذه العلاقة بالظاهر

أو الواقع. فالظاهر يعد الحد الأول و الواقع هو الحد الثاني. (محمد، 2023، ص80)

في الأخير يمكننا أن نعبر عن ملامح الحجاج عند بيرلمان كالآتي:

- 1 أن يتوجه إلى المستمع أو القارئ .
- 2 أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3 مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- 4 لا يفترق تقدمه إلى ضرورة منطقية.
- 5 ليست نتائجه ملزمة.

ثالثا: أثر نظرية الحجاج عند بيرلمان في الخطاب الفلسفي:

لقد كان لنظرية الحجاج عند شايم بيرلمان و لوسي أولبريخت تيتكا تأثيرا بالغا في الخطاب الفلسفي المعاصر حيث أن هذه النظرية دعت إلى إعادة تثمين الجانب الإقناعي في ابلاغة القديمة و تخليصها من التلاعب اللفظي و الجماليات الأسلوبية على حساب قوة البناء الحجاجي.

كما أسست هذه النظرية الإبستمولوجيا التعددية في حين قام بيرلمان بمعارضة النزعة الوضعية و المعرفة المتولدة من تأثير الديكاترية على الثقافة الغربية، بالإضافة إلى إعادة تقييم مكانة اللغة الطبيعية و تفاعل مستوياتها بين الحقيقة و المجاز، مع التركيز على البعد التواصل و القصدي الخطابية كأركان أساسية لفهم هذه اللغة و الكشف عن طبيعتها الاستثنائية، التي لا يمكن تعويضها بأنظمة الإشارات الصامتة ذات الدلالة الأحادية الجامدة. كما جعلت هذه النظرية العلامة الاجتماعية من أولويات انشغالاتها أي أن الخطاب الفلسفي لم يعد يبحث عن الحقيقة بل يخضع للغة المجتمع و بلاغته و ايديولوجيته. أثرت هذه النظرية على المتلقي حيث أنه لم يعد متلق سلبي بل أصبح متلقيا إيجابيا ينقد و يناقش . بينما المتلقي في الخطابة القديمة كان سلبي أي يتلقى الخطابة كما هي دون إبداء رأيه. (فاطمة، 2019، ص 28).

خلصت هذه النظرية الحجاج من تهمة المغالطة فالحجاج عنج بيرلمان هو معقولة و حرية و إضاعة في الحساب إلى جانب العقل اهواء الإنسان و مصالحه على عكس أرسطو الذي ميز بين التأثير في هذه نظريا و التأثير في الإرادة عمليا و رأى بيرلمان أن هذا التمييز يؤدي إلى مأزق. (عبد الله، 2011، ص 17). جعل الحجاج أداة للتداول العقلاني في الفلسفة و هذا ما نجده في فروع مثل فلسفة الأخلاق و القانون و السياسة، فالحجاج عند بيرلمان ليس

أداة ثانوية، بل ضرورة فلسفية لفهم القضايا الإنسانية كالعدالة و الأخلاق فالحقيقة هنا تبنى عبر مراعاة سياقات الجمهور . (أنوار، 2015).

نظرية الحجاج لدى بيرلمان و تيتيكا قد أعادت بناء ملامح الخطاب الفلسفي المعاصر من خلال جعل عملية الإقناع عملية حوارية تعترف بالآخر.

خاتمة

في ختام عملنا المتواضع ما يمكن أن نستخلصه هو:

- أن البلاغة الجديدة تمثل تقدما و تطورا حديثا في مجال تحليل الخطاب حيث أنها تولي اهتماما كبيرا لآلتي التأثير و الاقناع بدلا من الاهتمام بالمزايا الجمالية و الفنية للغة.
- ظل الحجاج الفلسفي وسيلة و أداة مستمرة تعتمد عليها في النقاشات الفلسفية لإثبات صحة قضية ما و تنفيذها، عن طريق مجموعة من الحجج العقلية.
- البلاغة الكلاسيكية كانت بمثابة أدوات منهجية، يستعين بها الخطيب أو الكاتب في صياغة الخطاب بشتى أنواعه بالإضافة إلى المناظرات الفلسفية و الأدبية لتعزيز حججه و تأكيد أهدافه.
- اتساع نطاق البلاغة ليضم حقولا معرفية متنوعة، وفقا لمنظور شايم بيرلمان، حيث أنها ارتبطت بالحجاج و فن التواصل و ولم تعد حبيسة الإطار الأدبي فحسب بل تجاوزته إلى العلوم الإنسانية و الاجتماعية، بالإضافة إلى أن البلاغة الجديدة لا تشكل قطيعة جذرية مع التراث الكلاسيكي، بل هي امتداد تأقلم مع تعقيدات الخطاب المعاصر ليستجيب لمتطلباته.
- السمات الرئيسية للحجاج عند شايم بيرلمان تتمثل في: التركيز على المتلقي/ اللغة الطبيعية/ الطبيعة الاحتمالية/ اللاضرورة المنطقية/ النتائج غير الملزمة.
- إن مشروع بيرلمان كان بمثابة تحول جوهري في فهم الحجاج الفلسفي، عبر تجاوزه النموذج العقلاني السائد، و تبنيه لفكرة ضرورة تكامل المنطق و البلاغة في تشكيل الحقيقة، بالإضافة إلى اهتمامه بفكرة ارتباط الحجاج بالتأويل فعلية الاقناع لا تقتصر على نقل الأفكار فقط بل أيضا تتطلب تفكيكها و تحليلها و محاولة فهمها عميقا لإزالة الإبهام و الغموض عنها لإعادة بنائها فيما بعد وفق السياق الثقافي.

- يبرز بيرلمان ابستمولوجية تكاملية تدمج بين البعد النصي المنطقي و البعد الفني البلاغي، فالحقيق عنده تبنى عبر تفاعل هذين البعدين.
- يتميز الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة كما طورها شايبم بيرلمان و رفيقة بحثه لوسي البرخت تيتيكا ب: الاهتمام والتركيز بالسياق التداولي و الجمهور فعلية الاقناع تتحقق بمراعاة وفهم سياقات التواصل للجمهور،يركز الحجاج الفلسفي على الحوار والمناداة بحرية الاراء والاختلاف،كما نجد الحجاج الفلسفي يجمع بين الفلسفة والبلاغة اي بين الحقيقة و استخدام التقنيات البلاغية لاستخدامها في السياقات الاجتماعية،بالاضافة الى ذلك نجده شديد الارتباط بالعمل الاجتماعي كونه وسيلة لتغيير المواقف و ليس مجرد خطاب نظري و تعدد وتنوع تقنيات الحجاج جعله اكثر تميزا.
- موضوع الحجاج الفلسفي في البلاغة الجديدة كما طوره بيرلمان و تيتيكا يفتح آفاقا إنسانية و أخلاقية و فكرته للمستقبل نذكر أهمها:
 - ✓ الآفاق الإنسانية: تتمثل في تعزيز الحوار بين الثقافات و بذلك يصبح الحجاج أداة لإقامة علاقة بين مختلف الحضارات و احترام الاختلافات القائمة بينها بالإضافة أنه يحفظ الكرامة الإنسانية من خلال احترام حرية و أي الطرف الآخر و أن الإنسان ليس مجرد موضوع بل جزء مهم في العملية الخطابية.
 - ✓ الآفاق الأخلاقية: و ذلك من خلال اختيار الحجج المناسبة التي تتوافق مع قيم العدالة و الانصاف و تجنب التلاعب بالمشاعر.
 - ✓ يستطيع الحجاج من خلال تحليله للخطابات بشتى انواعها أن يكشف الآليات الإقناعية الخفية و هذا ما يؤدي إلى النزاهة.
 - ✓ الآفاق المعرفية الابستمولوجية: حيث أن الحجاج يفتح باب المناقشة و الحوار حول العلم و المعرفة لفهم الحقيقة كما أنه يقوم بدمج المنطق

بالسياق الثقافي و ذلك من خلال إعادة الاعتبار للعوامل غير العقلانية
كجزء من بناء المعرفة.

✓ آفاق سياسية و اجتماعية: يعزز الحجاج الحوار العام في المجتمعات

المختلفة، كما أنه يساهم فيحل النزاعات عبر عملية الإقناع.

كما نجد ان ربط البلاغة بالحجاج في الخطاب الفلسفي نتج عنه عدة آثار منها:

- تضيف البلاغة بعدا جماليا و عاطفيا عل الحجاج الفلسفي و هذا ما يجعله أكثر تأثيرا في المتلقي.
- إدخال البلاغة في الحجاج يبرز دور الباتوس و الإيتوس و ليس فقط اللوغوس.
- يصبح الخطاب الفلسفي أداة للتغيير الإجتماعي عبر توظيف الحجاج البلاغي في نقاش أهم القضايا مثل: العدالة.
- ربط البلاغة بالحجاج يعيد تعريف الفلسفة كفن للحوار و التفاعل مع الواقع.

قائمة

المصادر والمراجع

- الأنصاري، بن منظور (2016). لسان العرب. (ط 1).
- الجاحظ، (1982). البيان و التبیین. (ط 1).
- السكاكي، (1983). مفتاح العلوم. (ط 1). بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- سلامة، ابراهيم، (1950). الخطابة. (ط 1). مصر.
- عبد الرحمان، طه، (2000). أصول الكلام و تجديد علم الكلام. (ط 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمان، طه، (2006). اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي. (ط 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمان، طه، (2007). الحدائث و المقاومة. (ط 1). لبنان: معهد المعارف الحكيمة.
- عبد الرحمان، طه، (2011). حوارات من أجل المستقبل. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر.
- العزاوي أبو بكر، (2006). اللغة و الحجاج. (ط 1). المغرب: الدار البيضاء.
- العزاوي، أبو بكر، (2010). الخطاب و الحجاج. (ط 1). بيروت لبنان.
- العسكري، أبو هلال (1986). الصناعتين. (ط 1). بيروت.
- القزويني، (2003). الإيضاح في علوم البلاغة. (ط 1). بيروت : لبنان.

المصادر باللغة الأجنبية:

Aristo Tlés , (1832). An Anolyiss of Aristo Tlés Rhetoric. Europe .

قائمة المراجع باللغة العربية:

- بركات، وائل، (1996). مفاهيمات في بنية النص. (ط1). سوريا دمشق: دار معد للطباعة والنشر والتوزيع.
- بشر، كمال، (2000). علم الاصوات. (ط1). القاهرة: دار غريب.
- بنكراد، سعيد، (2012). السيمائيات. (ط 3). سوريا: مكتبة الأدب العربي.

- البهلول، عبدالله، (2013). الحجاج الجدلي. (ط1). تونس: دار نهى للطباعة.
- الحباشة، صابر محمود، (2011). الاسلوبية والتداولية. (ط1). الاردن.
- حمداوي، جميل، (2014). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. افريقيا الشرق.
- حمداوي، جميل، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة.
- الشافعي، حسن محمود، (1989). المدخل الى دراسة علم الكلام. (ط1). السعودية: المكتبة الامدادية.
- صقر خفاجة، محمد، (1966). تاريخ الأدب اليوناني. (ط 1). مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- صمود، حمادي. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس.
- عادل، عبد اللطيف، (2013). بلاغة الإقناع في المناظرة. (ط 1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- علي الخولي، محمد، (2001). علم الدلالة. (ط 1). الأردن.
- العمري، محمد، (2013). أساس البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة. (ط 1). المغرب: دار البيضاء.
- العمري، محمد، (2020). الخطابة و الحجاج. (ط1). المغرب: الدار البيضاء.
- قنيني، عبد القادر، (1991). نظرية افعال الكلام العامة. افريقيا الشرق.
- كاظم صادق، مثنى، (2015). الحجاج التداولي و البلاغي. (ط1). بيروت لبنان.
- مالك، بيار (2016). الفلسفة و تعليمها. (ط 1) بيروت لبنان: دار النهضة العربية.
- محمد صالح ناجي الغامدي، (2011). تاريخ نظريات الحجاج. (ط 1). جامعة الملك عبد العزيز.
- محمود أحمد نحلة، (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- المقداد، قاسم، (1998). الملفوظية. (ط1). منشورات اتحاد الكتاب العرب.

قائمة المراجع الأجنبية:

- Muhd Aiman ,(2014) . An Evaluation classical Rhetorical theory .
-Jaclyn luzke an Mary , (2009) . The Rhetorical traingl . University of Arkanass .

المعاجم:

- صليبا، جميل، (1972). المعجم الفلسفي. (ط 1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
الموسوعات:
-خليل أحمد خليل، (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. (ط 2). بيروت لبنان.
المحاضرات:
-جوادي، محمد نجيب، (2023). محاضرات في الحجاج الفلسفي. جامعة الجزائر-2.
-فتاحين، عمور، نظرية الحجاج عند بيرلمان.
-مدوار، محمد، مفهوم النص.

المجلات:

- أبو الزهراء، مجلة الشبكة الشاملة، دروس الحجاج الفلسفي، 2008.
-أمين الخولي، مجلة كلية التربية الأساسية، تجديد البلاغة العربية، العدد 14، 2013.
-بن عسلة عبد القادر، مجلة تاريخ العلوم، البلاغة العربية و العملية التواصلية، العدد الثالث.
-بن يحي ناعوس، جسور المعرفة، موقع الباتوس في اهم النظريات الحجاجية الغربية من ارسطو حتى اليوم، المجلد: 08 العدد: 01، مارس 2022.
-رشيد الراضي، عالم الفكر السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي نموذجاً، العدد: 04، 2008.
-زينة بلحشر، فوزية شراد، مجلة الأحياء، الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي، 22 العدد

31 جوان 2022 / 19 جويلية 2020

- سامية بحري معافى هشام، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ،ابستمولوجيا الحجاج عند شايم بيرلمان بين نصية الاقناع وفنية الاقتناع،المجلد 11،العدد 2 (2023).
- فاطمة سيدي عومر، اللغة و الأدب مجلة علمية محكمة، الحجاج و علاقته ببلاغة الخطاب الإقناعي، المجلد: 16/ العدد: 31، 2019.
- محمد شروف، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، البلاغة الجديدة عند شايم بيرلمان، المجلد: 08، العدد: 02، ديسمبر 2023.
- محمد موسى الوديان، مجلة الآداب و اللغات و العلوم الإنسانية، جهود الدارسين العرب في الدرس الحجاجي (الجاحظ نموذجا)، المجلد 04 العدد: 09 سبتمبر 2021.
- منتصر نبيه محمد صديق، مجلة الدراسات العربية، سلطة النص و آليات الحجاج قراءة في نوتية أبي إسحاق الإلبيري، كلية دار العلوم، جامعة ألمانيا.
- ناصر حمزة وفاء برتيمه، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، علاقة تأويل بالحجاج عند شايم بيرلمان، المجلد: 09، العدد 01. جوان 2024.
- هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، البلاغة الجديدة -مشروع التجديد المعاصر- ثابته و متغيرات، المجلد: 14، العدد: 02، 19 جوان 2019.
- هندة كبوسي، مجلة تاريخ العلوم بلاغة الحجاج الأصول و الامتداد، العدد التاسع سبتمبر 2017.

الرسائل و المذكرات الجامعية:

- فاطمة يحي، استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو.
- قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر " البلاغة و السرد لمحمد مشبال" أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس- سيدي بلعباس.

- نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي و الدرس اللساني الغربي،
أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.

مواقع من الأنترنت:

- الحجاج و الخطابة، 2024 (moodle- Univ- dkm- dz/ mod page)

- نحو نظرية فلسفية في الحجاج شايم بيرمان ترجمة أنوار طاهر - مجلة حكمة، 09/04/

2015، <https://hemah.org>

الملخص

المخلص:

الكلمات المفتاحية :

ارتبط الحجاج الفلسفي مؤخرا بالبلاغة الجديدة فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإقناع و الإقناع، حيث تحولت البلاغة من كونها بلاغة معيارية وصفية كلاسيكية تهتم بجماليات الأسلوب و الزخارف اللغوية إلى بلاغة حجاجية تفاعلية جديدة مع الفيلسوف شايم بيرلمان في القرن العشرين الذي أعاد الاعتبار للحجاج كأداة فلسفية، حيث أصبح للحجاج طبيعة خاصة به في مجال البلاغة الجديدة و هي أن تتكيف الحجاج و تتأقلم مع قيم و معتقدات الجمهور، و توظيف المنطق إلى جانب العاطفة.

Abstract :

Philosophical argumentation has recently been linked to the process of understanding and persuasion. Rhetoric has shifted from being a classical descriptive and normative rhetoric concerned with the aesthetics of style and linguistic decorations to a new interactive argumentative rhetoric with the philosopher Chaim Perelman in the 20th century who restored the consideration of argumentation as a philosophical tool . Argumentation has acquired a special nature in the field of new rhetoric , which is that arguments adapt and adjust to the values and beliefs of the audience , and employ logic alongside emotion .

Résumé :

L'argumentation philosophique a récemment été liée à la nouvelle rhétorique, car les techniques rhétoriques ont été utilisées dans le processus de compréhension et de persuasion. La rhétorique est passée d'une rhétorique descriptive normative classique, préoccupée par l'esthétique du style et les décorations linguistiques, à une nouvelle rhétorique argumentative interactive avec le philosophe Chaim Perelman au 20^{ème} siècle, qui a rétabli la considération de l'argumentation comme outil philosophique. L'argumentation a acquis une nature particulière dans le domaine de la nouvelle rhétorique à savoir que les arguments s'adaptent et s'ajustent aux valeurs et aux croyances du public, et emploient la logique aux côtés de l'émotion.